الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم: اللغة والأدب العربي

التخصص:لسانيات عامة

التناص الديني في كتاب جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة
(خطب ووصايا أبي بكر أنموذجا)

إعداد الطالبة:
- نزيهة عيادي

إشراف الأستاذ:
- عبد القادر تواتي

السنة الدراسية: 2020/2019

شكر

رسالة أبعثها بملئ الحب و العطف والتقدير والاحترام لمن جعل الله الجنة تحت قدميها «أمي الحبيبة»

وإلى من أناروا لي دروب الحياة «إخوتي وأختي»

وأخص بالذكر صاحب التميز والأفكار النيرة «الدكتور عبد القادر تواتي» أقدم لك أزكى التحيات بكل فخر وأقول لك بشراك بمنزلتك عند الله فلا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعملون وكاد المعلم أن يكون رسولا.

الإهداء

إلى تعزيتي في حزني ورجائي في يأسي وقوتي في ضعفي..

إلى من فتحت باب الجنة تحت قدميها أمي الغالية «حجيلة خزناجي».

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله إخوتي وأختي

«حمزة، إسماعيل، حسين، حميد ونعيمة».

إلى موجهي ومشرفي الدكتور الفاضل «عبد القادر تواتي».

إلى من تذوقت معهم أحلى اللحظات زميلاتي

«صبرينة، سليمة، نوال»

مقدمة

يعتبر التناص تجانس نص في نص آخر معطيا لنا نصا جديدا في هيئة تختلف عن النص السابق أي الأصلي سواء كانت تلك النصوص شعرية أم نثرية، وقد تختلف أنواع التناص حسب توظيفه من دينية، تاريخية، أدبية أو أسطورية، وذلك حسب ثقافة وتراث الكاتب أو الشاعر هذا الأخير الذي جعل من تراثه رابطا أساسيا بين الماضي والحاضر وهذا ملخص لمفهوم التناص كمصطلح والذي يمكن أن يكون مباشرا أو غير مباشر.

وقد حاولت في طيات مذكرتي هذه أن أدرس التناص الديني في خطب ووصايا أبي بكر الصديق رضوان الله عليه في كتاب جمهرة خطب العرب الذي استعمل في خطبه ووصاياه عديد صور التناص الديني من خلال معايشته للرسول صلى الله عليه وسلم واقتدائه به وجعل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كمصدر أساسي له.

ولفهم هذا الموضوع حاولت أن أوضح ما يلي:

ما هو التناص الديني الموظف في خطب أبي بكر الصديق ووصاياه؟

ما هي أنواع وأنماط وبلاغة التناص الموظف في خطبه وما المصدر الأساسي لتناصه الديني؟

وقد كان هذا الموضوع محلا للدراسة من قبل كالتناص الديني في شعر أحمد شوقي وهي مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في جامعة بوضياف بالمسيلة،

تخصص أدبي حديث من إعداد الطالبة مداسي سنة 2015/2014 وقد تضمن بحثها على مدخل وفصلين تناولت فيه حياة الشاعر وشعره وأدبه إضافة إلى النزعة الدينية في شعره بالإضافة إلى جماليات التناص في حكم الإمام علي وهي دراسة تطبيقية في (نهج البلاغة) وهي عبارة عن مذكرة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي تخصص البلاغة العربية وشعرية الخطاب لإعداد الطالب يوسف نجعوم وإشراف الأستاذ الدكتور العلمي المكي سنة 1429هـ-1430هـ، 2008م-2009م (دراسة ذاتية موضوعية للبحث)، كما قام بدراسة التناص القرآني في نهج البلاغة لعلي بن أبي طالب في قسم اللغة العربية وآدابها كلية العلوم الإنسانية جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية، إعداد نصيحة المهتدين وإشراف أحمد خليل لنيل شهادة الماجستير وملخصها: «أن كل نص لا يقوم بذاته بل هو امتصاص أو تحويل من نصوص أخرى، هذا الذي كان في مبدأ التناص الأساسي، مع شيوع الدراسة التناصية عند النقاد الغربيين المعاصرين يستفيد منها بعضهم الثقافة الدينية في تحليل ما يتعلق بالأحوال الدينية واستحضر أدباء المسلمين القرآن الكريم كمصدر أدبي بوصفه كتابا دينيا».

أما جماليات الخطاب النثري في خطب أبي بكر الصديق رضي الله عنه لغربي نعيمة والدكتور حاجي أحمد فقد تناولت خطب أبي بكر الصديق بلاغيا واشتملت على تمهيد (ماهية الدراسة البلاغية) وقسمت هذه الدراسة إلى فصلين، فصل نظري

تناولت فيه الخطابة لغة واصطلاحا، الخطابة في صدر الإسلام، أنواع الخطابة وصفات الخطيب، أما الفصل التطبيقي فتناول سبعة خطب لأبي بكر والخصائص الفنية التي تميزت بها الخطب.

أما أنا فقد جعلت من خطب ووصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه نموذجا للدراسة التطبيقية في مذكرتي لامتلاء خطبه ووصاياه بكلام الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم النابعة من ديننا الحنيف مما يدل على ثقافة الخطيب الإسلامية رغبة في توضيح مسألة التناص الديني بكل ما يحمله من أنواع وأنماط وبلاغة، ولتوضيح ذلك انقسمت مذكرتي إلى فصلين وخاتمة.

الفصل الأول: قمت بالتحدث عن مصطلح التناص لغويا واصطلاحيا مشيرة في هذا العنصر إلى أهمية التناص بالنسبة للنقد والنقاد، بالإضافة إلى دراسة أنواعه (تناص ديني، تاريخي، أدبي، أسطوري)، لأذكر بعد ذلك مباشرة أنماط التناص (مباشر وغير مباشر)، لأنتقل إلى الفصل الثاني الذي يحتوي على دراسة نموذجية في خطب ووصايا أبي بكر الصديق. وأنهيت بحثي بخاتمة تحمل في طياتها مجموعة من النتائج توصلت إليها من خلال مذكرتي.

وقد اتبعت المنهج الوصفي كونه هو المنهج المناسب لدراسة ظاهرة التناص مستعينة بالمنهج التحليلي الذي يفتح مجال الفهم للقارئ.

واعتمدت في ذلك على عدة مصادر اهتديت إليها في بحثي أهمها القرآن الكريم كمصدر أساسي، وكتاب جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ثاني أهم مصدر. أما المراجع فهي كثيرة من بينها: لسان العرب لابن منظور، التناص نظريا وتطبيقيا لأحمد الزعبي، التناص في الشعر العربي المعاصر لمحمد الزواهرة، الصور الشعرية في الكتابة الفنية لصبحي البستاني، وتحليل الخطاب الشعري لمحمد مفتاح، بالإضافة إلى عدة مراجع أخرى.

وقد واجهت العديد من الضغوطات أبرزها ضيق الوقت المحدد و البحث بمفردي في موضوع هائل كهذا الموضوع (التناص الديني) الذي يتطلب جهدا وبحثا مكثفا، كما أن لأزمة كورونا دخل في الصعوبات والعراقيل التي واجهتها بسبب غلق المكتبات التي تحتوي على كتب تعتبر مصدر أول لاستخراج المعلومات، لكن بفضل الله عز وجل قبل كل شيء وبفضل مجهوداتي ومجهودات أهلي بداية من أمي وصولا إلى إخوتي وأختي دون أن أنسى وقفة مشرفي وموجهي الدكتور عبد القادر تواتي الذي لم يبخل علي بتوجيهاته وتصحيحاته و إضافاته تغلبت عليها وأصبحت في صراع مع الوقت والمرض في آن واحد فمن طلب العلا سهر الليالي، فرغم أن البحث أخذ مني الوقت والجهد حتى يخرج بهذا الشكل كان صعبا إلا أن حرصنا الشديد على تقديم مادة علمية نافعة كان لي دافعا ومحفزا طوال فترة إنجازه.

وما علي في نهاية مقدمة بحثي إلا أن أتقدم بأحر التهاني وخالص الشكر إلى الدكتور عبد القادر تواتي رغبة مني في أن أرد له ولو جزءً صغيرا من مجهوداته المبذولة بالإضافة إلى جميع عائلتي صغيرهم وكبيرهم وكل من زرعوا التفاؤل في طريقي لإتمام هذا البحث.

الفصل الأول: ماهية التناص

المبحث الأول: مفهوم التناص وأهميته

المبحث الثاني: أنواع التناص

المبحث الثالث: أنماط التناص

تمهيد

يعتبر مصطلح التناص في الساحة الأدبية محل جدال ومناقشة كونه ظاهرة اختلف فيها الكثير من النقاد، وأول ما اختلفوا فيه هو مكان ميلاد هذا المصطلح الذي يتكون (التناص) هذا الأخير يعني بالفرنسية: (intertextualité) الذي يتكون بدوره من كلمتي «inter» والتي تعني (التبادل) و «texte» ومعناه (النص)، ومعناه الكلي عند انسجام الكلمتين هو «التبادل النصي»، فالبعض يرى أنه ذو أصل غربي لا غير، في حين يراه آخرون أنه مولود عربي فتشبعه بثقافة عربية دليل على ذلك، وهذا الاختلاف راجع إلى رغبتهم في رد التناص إلى أصله الحقيقي ولإبراز ذلك قاموا بدراسات عدة حاولوا من خلالها إبراز خصائص التناص، حيث أن النقاد العرب أصروا على انتمائه لهم مؤكدين ذلك بدلائل قاطعة، فالتناص عندهم كان سببا رئيسيا في حفظ الخواطر والأشعار التي أصبحت موضوعا أساسيا لدراسة التناص.

لكن سرعان ما ظهر الرأي المعارض مؤكدا أن أول ظهور للتناص كان في الحقل الروائي على خلاف النقاد الذين صبوا جل اهتماماتهم في أشعارهم في البيت الواحد وهذا غير كاف لدراسة التناص الذي جاء بأمور شاملة وواسعة وجدت راحتها واتساعها في النص النثري أكثر من الشعر.

لكن رغم الاتساع الذي وجده في النثر على حساب الشعر إلا أن بدايته في النقد العربي القديم وذلك حسب إرهاصاته الأولى التي كانت دليلا قاطعا لتوضيح ذلك.

المبحث الأول: مفهوم التناص وأهميته

أولا: مفهوم التناص

للتناص عدة مفاهيم مختلفة منها ما هو لغوي ومنها ما هو اصطلاحي.

أ) لغة: قد يأتي في اللغة عديد التعريفات تختلف من شخص لآخر ومن كتاب إلى كتاب ومن معجم إلى معجم، فنجد أن التناص من فعل: نص ينص نصا إلى نصنص والنص إظهار الشيء، ويقال نص المتاع إذا جعل بعضه فوق بعض[1] وهنا يظهر التناص على أنه العلو والارتفاع، أما نص الشيء منتهاه، ونصت، ونصنصت الشيء إذا حركته، ويقال: انتص الشيء، وانتصب إذا استوى واستقام[2]. والتناص كذلك ازدحام القوم[3]. وقد جاء في نفس المعنى السابق «تناص» القوم أي ازدحموا[4] ويقال: النص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها ... فنوص الحقاق إنما هو الإدراك ... ومنتهى بلوغ العقل، ونصصت الشيء حركته ... ونصص الرجال غريمة إذا استقصى عليه في السؤال والحساب[5].

---

[1]– ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (نص)، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نصص)، والمقري الفيومي، المصباح في المنبر في غريب الشرح الكبير للرافعي، مادة (نص).

[2]– ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نصص).

[3]– أحمد الرضا، معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، بيروت، 1377هـ–1830م، ج1، ص472.

[4]– الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (نص).

[5]– جمال الدين محمد ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، د.ط، مادة (نصص).

وتأتي في معجم مقاييس اللغة: «النون والصاد صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء، من قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه، والنص في السير أرفعه، ويقال نصصت ناقتي، وبات فلان منتصا على بعيره، أي منتصبا ... وهو القياس لأنك تبتغي بلوغ النهاية».[1]

ونصص المتاع: جعل بعضه فوق بعض، والتناص تدافع القوم في حلقة تجمعية واحدة[2]، وفي هذا السياق جاء نص ينص نصا، أي على الشيء بمعنى حدده وفي القول أو الفعل أو رفعه وأسنده إلى صاحبه، ونص المتاع نصا: أي جعل بعضه فوق بعض.[3]

أما في معجم الرائد: لفظة «تناص»: تناصا (ن.ص.ص) القوم أي ازدحموا[4].

أما كلمة نص معناها ما زاد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: «أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويعتمد بغم كان نصا في بيان محبته».[5]

ب) التناص اصطلاحا: وقد عرف التناص في الاصطلاح نوعين من التعريفات فقد اختلف الغرب والعرب في تعريفه وتأصيله كل حسب دراساته.

---

[1]– أبو أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، ط2، 410هـ، مادة(نص).

[2]– إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ط3، 1989م، ج1، ص926.

[3]– جبران مسعود، معجم الرائد دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1929م، ص708.

[4]– المرجع نفسه، ص 244.

[5]– السيد الشريف أبو الحسني علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي، التعرفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، 2013م، ص121.

1) **عند الغرب:** فقد ظهر هذا المصطلح لأول مرة عند ميخائيل باحتين لكن ليس فيما يعرف بالتناص وإنما تحت سقف ما يعرف بالحوارية إلى أن جاءت جوليا كريستيفا فطورته فأصبح يعرف بمصطلح التناص.

ومعنى التناص على العموم هو قراءة سابقة وتأويل هذه النصوص لتنتج لنا نصا جديدا يحتوي على زيادة في المعنى عن النصوص السابقة. وقد عرفه مارك أنجينو بأنه: «كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى وبذلك يصبح نصا في نص تناصا»[1]، وهو يعني بذلك أن اندماج نص في نص آخر يعتبر تناصا. ويقال «هي مجموعة من النصوص ضاعت مصادرها»[2]، أي أن النصوص عندما تتداخل مع نصوص أخرى فإن ذلك يؤدي بطريقة ما إلى ضياع المصدر التي أخذت منه تلك النصوص فيظهر في النص الجديد بطريقة خفية غير دالة على نصه الأصلي. وتعرفه جوليا كريستيفا: «بأنه التقاطع داخل نص لتعبير مأخوذ من نصوص أخرى وكل نص هو امتصاص لنص آخر»[3]، وفي موضع آخر تقول: «النص إنتاجية وترحال للنصوص وتداخل نصي في نص معين، تتقاطع ملفوظات

---

[1]– مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي، تر: أحمد المدني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م، ص461.

[2]– حافظ صبري، التناص وإشاريات العمل الأدبي، التناص تفاعلية النصوص، مجلة البلاغة المقارنة، 1984م، ع4، ص83.

[3]– ليون صونفين، التناصية والنقد الجديد، تر: وائل بركات، جدة، السعودية، 1996م، ص236.

مقتطعة من نصوص أخرى بواسطة الامتصاص والتحويل»[1] وشرحها لأقوالها فهي تؤكد بأن التناص هو عملية امتصاص وجذب النصوص لتعبير نصوص أخرى وقد وصفته بترحال النصوص المتقاطعة فيما بينها.

ومن ثم أصبح التناص بعد دراسته من طرف كريستيفا مفهوما حاضرا في كثير من الاتجاهات النقدية.

أما عند رولان بارت الذي عد التناص عبارة: «تتبادل النصوص أشلاء النصوص التي دارت أو تدور في ذلك النص، يعتبر مركزا في النهاية تتحدد معه...فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من اجتهادات سابقة»[2] وهنا يقصد رولان بارت بأن النص اللاحق (النص الجديد) ما هو إلا نسيج منسوج من خيوط سابقة في نص سابق (النص القديم) وذلك عبر اجتهادات متتالية. دون أن ننسى تعريف شكلوفسكي: «كلما سلطت الضوء على حقبة ما ازددت اقتناعا بأن الصور التي نعتبرها من ابتكار شاعر إنما استعرناها من شعراء آخرين»[3]، وهنا يصف شكلوفسكي أن التناص عبارة عن استعارة من نصوص أخرى. واتجه آمبورتو إيكو إلى إبراز دور القارئ في استنباط شيفرات التناص الحاضرة والغائبة قائلا: «القارئ

---

[1]– الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الإرشاد، الأنباء، ط2، 1965م، ع40، ج3، ص93.

[2]– مجموعة مؤلفين، مقالة بارت، آفاي التناصية، المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص49.

[3]– نقلا عن: محمد عزام، النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص38.

يتحمل العبء الأكبر في فك رموز النص واستحضار تناصاته الغائبة أو استنباط شيفرات تناصاته الحاضرة ليصبح النص خليطا من نصوص وتناصات كثيرة».[1]

2) عند **العرب:** كان أول ظهور له عند الناقد والشاعر محمد ينيس في كتابه «ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب عام 1979[2]، الذي حاول أن يستفيد من فكرة التناص الغربية وتوسعاتها وتطبيقاتها فبدأ دراسته بالتناص كمصطلح مع دراسة مفهومه ثم درس فكرة التداخل النصي ليصل مباشرة إلى هجرة النصوص «كظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية» مع إبراز رؤيته للتناص هذا الأخير الذي يقوم عنده على ثلاث آليات أولها الاجترار ثم الامتصاص وآخرها الحوار.[3]

وتبعه في دراسته محمد مفتاح ليتبع نفس خطواته في دراسته للتناص فأنقص ما يسمى بالاجترار معتمدا فقط على مصطلح التناص ثم الحوار المتعلق بالنص مضيفا شيئا جديدا عليه وهو مصطلح التخاطب معرفا إياه بأنه: «وجود علاقة خارجي بين أنواع من الخطاب، وداخلي بين مستويات اللغة»[4]، فهو من مفهومه أن التناص

---

[1]– نقلا عن: أحمد الزغبي، التناص نظريا وتطبيقيا، ص16.

[2]– مارك آنجينو، في أصول الخطاب النقدي، تر أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م، ص346.

[3]– ينظر: محمد ينيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، لبنان، ط1، 1979، ص253.

[4]– محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص44.

نوعان: «داخلي وخارجي فالداخلي يكون بين أعمال الكاتب والخارجي يكون بين أعماله وأعمال غيره».[1]

أما عند سعيد يقطين فقد استعمل شيئا جديدا وهو مصطلح التفاعل النصي وقد استعمل هذا الأخير مقابلا لمصطلح التناص مؤكدا ذلك بقوله: «إننا نستعمل التفاعل النصي مرادفا لما شاع تحت مفهوم التناص أو المتعاليات النصية كما استعملها جنيت بالأخص»[2]، وقسم التفاعل النصي إلى ثلاثة أنواع ألا وهي: (Meta textualité) والميتانصية (Intertextualité) التناص (Para textualité) والمناصة.

كما قام بتقسيم التفاعل النصي إلى ثلاثة أشكال: «ذاتي وهو محصور بين النصوص والكاتب وداخلي ويكون بين نصوص الكاتب ونصوص معاصريه، وآخر شكل وهو الخارجي ويكون قائما بين نصوص الكاتب ونصوص سابقيه».[3]

وقد تداول مصطلح التناص مفهومه عديد الدارسين الآخرين المختصين في ذلك المجال أمثال: الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض مبينا أن للتناص علاقة تأثير وتأثر بين العديد من النصوص مبرزا ذلك بمقولة شهيرة معروفة مضمونها أن

---

[1]– محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996، ص125.

[2]– سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط2، 2001، ص92.

[3]– المرجع نفسه، ص100.

التناص «حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لإنتاج نص حاضر».[1]

بالإضافة إلى صلاح فضل الذي لعب دورا فعالا في إبراز مفهوم التناص من خلال اهتمامه الكبير بدراسته في كتب متعددة ومتنوعة من بينها: «شيفرات النص»، موضحا رأيه الذي ينفي أن التناص مجرد نصوص سابقة ويزعم أن التناص هو تكوين لنص جديد يحتوي على معان زيادة عن النصوص السابقة وفي هذا الحديث قال: «التناص عمل تحويل وتمثيل عدة نصوص يقوم به نص مركزي يحتفظ بزيادة في المعنى».[2]

ومما سبق ذكره نستخلص كحوصلة موجزة أن العرب قديما كانوا يتداولون التناص فيما بينهم وقاموا بدراسته في مواطن عديدة وأشكال مختلفة لكن ليس تحت اسم ما يعرف بمصطلح التناص، إلى أن ظهر العرب في العصر الحديث الذين أطلقوا عليه تسمية مصطلح التناص.

ورغم ذلك إلا أن المغاربة كانت لهم الأولوية في اكتشاف المصطلح وتداوله ودراسته.

---

[1]– نقلا عبد الستار خير الأسدي، ماهية التناص: قراءة في إشكالية النقدية مجلة فكر ونقد، 2000م، ص28.

[2]– أحمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، ط2، 2000م، ص17.

ثانيا: أهمية التناص

نظرا للوجود المكثف للتناص في الثقافة الغربية وميلاده وتأصيله في الثقافة العربية الذي أكسبه أهمية بالغة في الثقافة البشرية على وجه العموم، فبفضل التناص تطور الأدب وخاصة في الدراسات المهتمة بدراسة وتبيين أهميته وفي هذا المجال قال الدكتور مفتاح: «فالتناص إذن للشاعر بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونها ولا عيشة له خارجها»[1]، فالشاعر مثله مثل أي إنسان لا يستطيع العيش خارج محيطه وواقعه ومجتمعه كما لا يستطيع العيش من دون مناخه ولا زمانه فمثله مثل الشاعر الذي لا يستطيع اللجوء إلى التناص فيجد نفسه ملزما بالأخذ بشروطه الزمانية والمكانية بالإضافة إلى الأحداث الواقعة، فمعرفة المحيط الاجتماعي للشاعر يعتبر مصدرا أساسيا لمعرفة التأويلات النصية من طرف المتلقين وذلك من خلال عكس النص للواقع المعيشي هذا ما جعل الشعر العربي القديم يدخل إلى مرحلة الإبداع الفني.

أما في النقد الحديث فقد ظهر التناص كضرورة حتمية لا يستطيع الأدب أن يتخلى عنها فمن خلال عملية التناص يستطيع الشاعر تأويل النصوص وتوضيحها وتفسيرها وهذا ما أقر به سعيد يقطين قائلا: «إن النص له ضرورة وأهمية لأن

[1]– محمد ناجي محمد أحمد، بيرار جينيت، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1992م، ص46.

الأمر يتعلق بتوجيه وقراءة النص والتحكم في تأويله»[1]، ومعنى ذلك أن التناص يعتبر المؤول الرئيسي للنصوص، فالنص لا يمكن أن تفهم ما يدور حوله إلا إذا تم اعتباره أنه نسيج متشابك من نصوص مختلفة ومتعددة سابقة عليه وذلك بالنظر إلى العلامات والإشارات التي يحملها، حيث أن تلك السابقة أو كما اعتبرها البعض بالنص «الغائب» هي عتبات وشفرات يتم من خلالها التحول إلى النص الحاضر، ما يجعل في النص طعم ونكهة وجمالية لدى القارئ من خلال تذوقه للنصوص المندمجة في ذلك النص الحاضر.

[1]– محمد ناجي محمد أحمد، مرجع سابق، ص46.

المبحث الثاني: أنواع التناص

وللتناص أنواع متعددة هي: التناص الديني، التاريخي، الأدبي، الأسطوري ونبينها كالآتي:

أ) التناص الديني: يعتبر التناص الديني بصفة عامة والقرآني بصفة خاصة من بين القضايا الأدبية التي تناولها عديد من الشعراء في أشعارهم آخذين ما يناسب من الآيات القرآنية التي تتطابق مع أشعارهم في توصيل دلالاتهم وأفكارهم للقراء كما أن لطبيعة القصيدة والمتوافقة والجو النفسي للشاعر دور بارز في توصيل الدلالة أو المفهوم للقارئ. فإذا لجأ الشاعر لاستعمال التناص الديني سواء من القرآن الكريم أو الكتب السماوية الأخرى يتولد لديه عديد الدلالات والإبداعات المختلفة الجديدة مما ينتج عنه بناء نص جديد لا لغاية الاقتباس وتزيين النصوص، وإنما لغاية أسمى ألا وهي استيعاب النص وتطويعه.[1]

فقد كان القرآن الكريم مصدر إلهام لكل الأمم فكان بمثابة التراث الديني الذي يعد ينبوعا لا ينفذ من النتائج والموضوعات الشعرية وكذا الصور الأدبية، لأن استخدام القرآن الكريم كان الملمح الأشد بروزا في الشعر العربي المعاصر كونه منهل خصب لجميع أنواع التفاعلات النصية.[2]

---

[1]– ينظر: ظاهر محمد الزواهرة، التناص في الشعر العربي المعاصر، ص83.

[2]– المرجع نفسه، ص86.

وقد شكل التراث الديني مرجعية دلالية لها حضورها القوي والفعال في القصيدة العربية المعاصرة لخصوصيته وتميزه وقدرته على النصوص بانفعالات المبدع وتجاربه والتأثير مع الوجدان الجمعي، لأن المعطيات الدينية[1]، تشبع الإنسان وترضي رغبته في المعرفة بما قدمت من تصورات لنشأة الكون، وتفسير سحري لظواهره المتنوعة.[2]

فالتراث الديني لعب دورا هاما في القصائد العربية المعاصرة لامتلاكه لعدة مميزات أعطته القدرة على التعامل مع النصوص فهو كلام معجز بألفاظه ومعانيه، كما مكنته من معرفة ردود فعل المبدع وتجاربه، فالدين هو العامل الوحيد القادر على التأثير في نفوس الناس وتلبية رغباتهم المعرفية وتفسيره للكون وظواهره المختلة.

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من شجع على اللجوء للدين لأخذ منه ما يناسب أشعارهم جاعلين منه سلاحا قويا لمواجهة كفار قريش وعلى سبيل المثال تشجيع الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت، ومنه أصبح للشعر علاقة وطيدة بالدين وأصبح للشعر علامات قرآنية واضحة.

---

[1]– حسن البنداري وآخرون، التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2009، المجلد11، العدد2، ص246.

[2]– عاطف نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1987م، ص35.

فالشاعر آنذاك جعل من الموروث الديني محورا دلاليا يقصده كلما احتاج إلى فهم المعاني والمضامين، محاولين بذلك تصوير المعاناة والقضايا وموافقة وتعميق تجاربه[1]، فالدين مشبع بتنوع دلالاته ومصادره مما جعله مصدر إلهام لعديد المعاني والمضامين مما أدى بالنقاد إلى تصوير معاناته وقضاياه ومواقفه وتجاربه.

ويكون التناص من القرآن الكريم على أوجه ثلاثة: فإما يكون جملي (خاص بالجملة ككل)، أو يكون كلمة مفردة (أي خاص باللفظة الواحدة)، أو يكون عبارة عن معنى فقط.

ومن بين المطبقين لمظاهر التناص القرآني نجد الشاعر عبد الرحمان بارود الذي استعمل في قصيدته الشعرية أبيات قرآنية ترهيبية بين لهم فيها جزاء المفسدين يوم القيامة مستخدما في ذلك قارون وقوم عاد قائلا فيها:

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى *** أَفَلاَ تَذَّكَّرُونَ عُقْبَى الفَسَاد
خَسْفَةٌ جَلَّلَت بِهِ فِي طِبَاق ال *** أَرْضِ فَرِيًا تَفْرِيهِ حَتَى المِعَاد
مَا حَفِظْتِ الدُّرُوسَ يَا أُخْتَ عَاد *** أَيْنَ عَادٌ وَأَيْنَ ذَاتُ العِمَاد؟[2]

فنجد هذا المعنى موظفا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا

[1]– حسن البنداري وآخرون، المرجع نفسه، ص247.

[2]– عبد الرحمان بارود، الأعمال الشعرية الكاملة، الشعر والتلقي دراسات نقدية، دار الشروق، عمان، ط1، 1997م، ص130.

تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[1] وقوله أيضا: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾[2].

وقد قال عبد الرحمان بارود فيما تنازلت عنه حركة فتح في عمليات السلاح:

أين فتح؟؟ وأين:(إنا فتحنا)؟...شدما غيرتكم الأيام !!![3]

وهو تناص ديني مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[4]. وهذا موجود في قول الشاعر نزار قباني:

.....

مَوْعِدُنَا القَادِمُ فِي كُلِّ أَبِيبٍ نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيْب».[5]

ب) التناص التاريخي: يلجأ الشاعر إلى المادة التاريخية الناتجة عن التراث التاريخي واتخاذها رصيدا معرفيا ودلاليا له، يتخذ من معلوماتها ومعطياتها للتعبير عن قضاياه سواء كانت متعلقة ببيئة الشاعر وجنسه وقوميته وكل ما يخص قيمته الحضارية والتاريخية هذه الأخيرة تؤثر تأثيرا قويا على فؤاد القارئ نظرا لما تحمله من قيم جمالية وروحية ومعرفية.

---

[1]– سورة القصص، الآية 76.

[2]– سورة الفجر، الآية 6-7.

[3]– عبد الرحمان بارود، المرجع السابق، ص145.

[4]– سورة الفتح، الآية 1.

[5]– نزار قباني، الأعمال الشعرية السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، 2011، ج6، ص345.

فالتناص التاريخي بالمختصر هو تداخل نصوص تاريخية مختارة قديمة كانت أم حديثة مع النص الفني بحيث تكون منسجمة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها المؤلف أو الحالة التي يجسدها ويقدمها في عمله.[1]

فالشاعر يقوم بمزج الزمان حيث يأتي بأحداث الماضي ويسكبها في وعاء الحاضر لتحيين الأحداث فالقارئ عند قراءتها يحس وكأنه يعيش في قلب الحدث، مما «ينتج تمازجا ويخلق تداخلا بين الحركة الزمانية حيث ينسكب الماضي بكل إثارته وتحفزاته وأحداثه على الحاضر بكل ما له من طزاجة اللحظة الحاضرة، فيما يشبه تواكبا تاريخيا يومئ الحاضر فيه إلى الماضي، وكأن اللحظة الحاضرة التي تعادلها في الموقف اللحظة الغائرة في سراديب الماضي».[2]

لكن هدف الشاعر ليس سرد الأحداث التاريخية بل هدفه انتقاء أفضلها من خلال مزجه بالواقع فيأتي بالماضي ويسكبه في الحاضر محافظا على المستقبل، «فالشاعر لا يستحضر المواقف التاريخية من أجل سردها في النص، بل يختار منها مواقف مشبعة مضيئة تنبض بالحيوية، فيعيد صياغتها لتتناغم مع التجربة الشعرية المعاصرة، فالشاعر المعاصر يعيد كتابة التاريخ ويمزجه بالواقع، وفق واقع معرفي جديد يجمع بين الماضي والحاضر ويستشرق آفاق المستقبل».[3]

---

[1]– حسن البنداري وآخرون، المرجع السابق، ص295.

[2]– رجاء عيد، المرجع السابق، ص201.

[3]– ينظر: حسن البنداري وآخرون، المرجع السابق، ص295.

كما تؤدي الشخصية التاريخية دورا أساسيا يغيرها الشاعر لتظهر بحلة جديدة وأبعاد مختلفة لا محدودة، فالشخصية التاريخية محصورة في إطارها التاريخي، ينفتح فيه الشاعر روحا جديدة، فتجتاز حدودها الضيقة وتكتسب أبعادا معنوية جديدة.[1]

فللشخصيات التاريخية دورها في اكتساب الشاعر للأصالة من خلال اكتسابها للبعد الحضاري والتاريخي وحضور تلك الشخصيات يعطي الشعر وتجربته « غنى وأصالة وشمولا في الوقت ذاته، فهي تغني بانفتاحها على هذه الينابيع دائمة التدفق بإمكانات الإيحاء ووسائل التأثير، وتكتسب أصالة وعراقة باكتسابها هذا البعد الحضاري التاريخي وأخيرا تكتسب شمولا وكلية بتحررها من إطار الجزئية والآنية إلى الاندماج في الكل وفي المطلق».[2]

وتوجد عدة أحداث تاريخية موظفة في الشعر الفلسطيني المعاصر جاء بها عبد الرحمان بارود في العهدة العمرية مبينا حالة القدس التي يجب أن تكون عليها من أمن وسلام رغبة منه في التأثير على النفوس وشحذها فقال:

قِلَادَةٌ *** مِنَ الوُرُودِ *** غَالِيَة
بِعُهْدَةٍ *** مِنَ الوُرُودِ *** غَالِيَة
لِإِلْيَاذَةِ الأَمْنُ وَالسَّلَامُ وَالحَيَاةُ الهَانِيَة

---

[1]– صجي البستاني، الصور الشعرية في الكتابة الفنية، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1، 1986م، ص194.

[2]– علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1997، ص17.

لَا يَسْكُنُ بالياَءِ الرُّوم

وَلَا أَحدٌ مِنَ اليَهُود.[1]

وقد أحضرت الشاعرة فدوى طوقان في قصيدتها «آهات أمام شباك التصاريح» شخصية هاشمية اعتدي عليها في خلافة المعتصم بالله في عمورية مستحضرة شخصية هند بنت عتبة التي تعتبر رمزا للثأر والانتقام قائلة:

آهٍ أَسْتَجْدِي العُبُور

اخْتِنَاقِي ، نَفْسِي المَقْطُوعُ مَحْمُولٌ عَلَى وَهْجِ الظَّهِيرَة

سَبْعُ سَاعَاتٍ انْتِظار

مَا الذِي قَصَّ جُنَاحَ الوَقْت

مَنْ كَسَحَ أَقْدَامَ الظَهِيرَة

وَيَدٌ تُصفِقُ شُبَاكَ التَّصَارِيح

تَسُدُّ الدَّرْبَ فِي وَجْهِ الزِّحَام

آهٍ، إِنْسَانِيَتِي تَنْزِفُ، قَلْبِي

يَقْطُرُ المُرَّ، دَمِي سُمٌّ وَنَار

عَرَبٌ فَوْضَى ، كِلاَب !

آه، وَا مُعْتَصِمَاه!

آهٍ يَا ثَأْرَ العَشِيرَة

مَزْعُ الجَلاَءِ جَرْحَى فِي الرُّغَام

آهٍ يَا ذُلَّ الإِسَار !

حَنْظَلاً صِرْتَ، مَذَاقِي قَاتِل

[1]– عبد الرحمان بارود، المرجع السابق، ص304.

حقْدِي رَهِيبٌ، موغَّلٌ حَتَى القَرَار
صَخْرَةُ قَلْبِي وكِبْرِيْتٌ وَفَوَارَةُ نَار
أَلْفَ «هِنْدٍ تَحْتَ جِلْدِي»
جُوعُ حِقْدِي
فَاغِرُ فَاهٍ، سِوَى أَكْبَادِهِم لاَ...
يَشِيعُ الجُوعُ الذِي اسْتَوْطَنَ جِلْدِي.[1]

ففي هذه القصيدة استحضرت شخصيتان مندمجتان الأولى هي شخصية الهاشمية وأدخلت فيها شخصية هند بنت عتبة لتبين حقدها ورغبتها الشديدة في الثأر والحمية.

ج) التناص الأدبي: يستوحى هذا النوع من التناص من التراث الأدبي المتكون من الأشعار والأمثال والحكم من أجل زيادة معاني الألفاظ والكلمات الموظفة في أشعار الشعراء وقصائدهم ولكي تفهم أكثر يجب علينا تأويلها وتحليلها.

ويعتبر الأدب كنتاج للشعور وتجاربه المختلفة وكعنصر فعال عند الأجيال نظرا لمجاورته للذات والوجدان «فالأدب هو خلاصة التجربة الشعورية والفكرية والحياتية لأي أمة، تتناقله الأجيال جيلا بعد جيل، مستفيدة من مضامينه، ومستلهمة شكله من أجل مواصلة الإنتاج على غزاره وتطويره. فالموروث الأدبي على اختلاف مستوياته له حضوره الفعال في القصيدة المعاصرة، لقربه من الذات المبدعة، والتصاقه بوجدانها، ومعايشته لظروفها، لقد وجد الشاعر المعاصر كثيرا

[1]– محمد فدوى طوقان، الآثار الكاملة، المؤسسة العربية للنشر، ط1، 1993، المجلد1، ص529.

من ملامح تجاربه في التراث الأدبي، فاستغل ذلك في التعبير عنها بصورة فنية من خلال تسليط الأضواء على الجوانب التراثية التي تخدم الفكرة أو القضية التي يريد التعبير عنها وتحويرها بما ينسجم مع مواقفه المعاصرة، وهنا تكمن براعة المبدع وقوته»[1] فما نتوصل إليه من شعور وأفكار هو عبارة عن أدب المبدع هذا الأخير تتناقله الأجيال فيما بينها رغبة في تطويره ويختلف باختلاف مستوياته.

«فالتقاط الموقف الخاص الذي تعرضت له الشخصية التراثية وفي إكسابه طابعا دراميا معبرا عن موقف جديد»[2] فالمواقف المعبرة من خلال تجارب الشاعر وعملية تحيينه للماضي كلها مواقف وجدانية واقعية جعلت الموروث الأدبي أداة معرفية طيعة في يد الشاعر المعاصر، ينسرب بجذوره الدلالية في أعماق تجاربه، ويشكل عنوانا لأفكاره وتصوراته وانفعالاته[3]، فالموروث الأدبي أداة معرفية تناقلها الأجيال لتصبح بمثابة وسيلة محكمة ومطيعة للشاعر فيساعده لعنونة أفكاره وتصوراته وانفعالاته.

في حين تكون تلك النصوص واضحة وجلية في بنية النص الجديد، وقد «يعيد الشاعر إنتاجها دونما جهد شعري ليذيبها داخل نصوصه ويضفي عليها شكلا آخر

---

[1]– حسن البنداري وآخرون، المرجع السابق، ص271.

[2]– رجاء عيد، المرجع السابق، ص238.

[3]– حسن البنداري وآخرون، المرجع السابق، ص271.

يزيدها حسية وبهاء».[1] ومعنى ذلك هو أن الموروث الأدبي يظهر في النص الجديد فينسجم معه ليخرجه بشكل مختلف عن أوله ليصبح ذو حسية وبهاء أكثر مما كان عليه في الأول.

ومن الأمثال الأدبية المستعملة آنذاك المثل العربي «جزاء سنمار» الذي وظفه الشاعر عبد الرحمان بارود في قصيدته ناهيا الناس بأن يكونوا مثل سنمار الذي بني قصرا لأحد الملوك فكان جزاؤه القتل فقال بارود في ذلك:

لَا تَقْرَبْ النَّاسَ بِهَا (جُلْجِلَت) *** رُوحُ (سِنْمَارِ) ازْهَقُوا[2]

وفي مثل هذا المعنى نظم الشاعر أحمد شوقي بيتا شعريا مشبها غربته وبعده عن وطنه بغربة الشاعر بارود فقال:

أَحَلاَلٌ لِغَيْرِنَا مَا تَمَنَى *** وَعَلَيْنَا العَمَى وَالارْتِشَاقُ[3]

وقد تضمنت كذلك أبيات الشاعر بارود على أبيات الشاعر أحمد شوقي قائلا:

أَحَرَامٌ عَلَى بَلاَبِله الدَّو *** حُ حَلاَلٌ للطَّيْرِ مِنْ كُلِّ جِنْسِ
كلُّ دَارٍ أَحَقُّ بِالأَهْلِ إِلاَّ *** فِي خَبِيثٍ مِنَ المَذَاهِبِ رِجْس[4]

وهذه نماذج عن التناص الأدبي ليظهر لنا بصورة واضحة فهو عبارة عن أمثال وحكم وأشعار وهذا ما لاحظناه في الأبيات الشعرية السابقة.

---

[1]– علي جعفر العلاق، الشعر والتلقي دراسات نقدية، دار الشروق، عمان، ط1، 1997م، ص131.
[2]– عبد الرحمان بارود، المرجع السابق، ص109.
[3]– المرجع نفسه، ص173.
[4]– أحمد شوقي، الشوقيات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، المجلد 1، ج2، ص45.

د) التناص الأسطوري: إن التناص الأسطوري تناص نابع من التراث الأسطوري فالأسطورة لها دور فعال في إبراز عديد الأبعاد كالبعد الوراثي والبعد الوجودي بالإضافة إلى أنها تساعد الشاعر على استعادة وتجديد صلته بحياته وكونه ونعني به لجوء الشاعر إلى الأسطورة ليستلهم ما يطابق نفسيته فيقوم بتوظيفها في نصه ليغني بها تجربته الشعرية « فالأسطورة تعبر عن هموم الشاعر وواقعه تعبيرا عميقا وتساعده على التجسيد، وتعيد إلى الشاعر فطرته الأولى»[1]، فهي نموذج عن واقع الشاعر «تهب القصيدة البعد الماورائي والبعد الوجودي الفعلي والإيحائية اللامتناهية، وتمكن الشاعر من استعادة حالة البكارة الأولى في صلته بالحياة والكون».[2]

كما أن الأسطورة تعتبر متحفا ثقافيا كانت بمثابة ملجأ للشاعر يتوجه إليه كلما احتاج إلى معطيات عصره فقد أصبح رفيقه الدائم وتوأما ونصفا ثنيا لا ينفصل عن تجاربه الشعرية،فكان استخدامه من طرف الشعراء المعاصرين «محاولة للتعبير عن أزمة أتاحت للشاعر العربي المعاصر الإفادة من معطياتها في هذا العصر، وأصبحت جزءا لا يتجزأ من تجاربهم الشعرية».[3]

---

[1]– حسن البنداري وآخرون، المرجع السابق، ص281.

[2]– إليا حاوي، في النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1986م، ص77.

[3]– حسن البنداري وآخرون، المرجع السابق، ص282.

فالآراء حول الأسطورة كانت مختلفة فالبعض يعتبرونها وهم وخيال طفولي في حين يراها البعض الآخر رمزا من شعائرهم الدينية وآخرون يحسبونها طقسا من طقوسهم وخاصة عند البدائيين، أما عند المحدثين النفسيين فيعتبرونها تحليلا نفسيا ورغبات مكبوتة ينظرون إليها كأنها علم يصعب تحقيقه فالأسطورة لمعانيها المتعددة يصعب تحديد دلالاتها تحيدا دقيقا، فمنهم من يعدها نوعا من الوهم الصبياني، ومنهم من يراها جزءا من الشعائر الدينية، فهي القسم المنطوق من الشعائر أو القصة التي تمثلها الشعائر، ومنهم من يراها تسجيلا لأحداث لا ينفصل عن الطقوس عند البدائيين وهي التي منحت الإنسان تبريرا لاستعادة أي طقس قديم مبجل، وينظر إليها التحليل النفسي على أنها تعبير رمزي عن مشاعر مجتمع ما وعن رغباته المكبوتة في اللاوعي الجمعي، مثلها في ذلك مثل الحلم بالنسبة للفرد».[1]

فكل شخص يفهمها من منظوره الخاص حسب نظرته وحسب مفهومه الخاص وكذا حسب ثقافته.

[1]– أحمد شعث، الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر، مكتبة القادسية، فلسطين، ط1، 2002م، ص53.

المبحث الثالث: أنماط التناص

وللتناص أنماط عديدة يعرف بها وهي كالآتي:

أ) التناص المباشر (تناص تحلي): فهذا النوع من التناص هو استحضار نصوص ودمجها في نص آخر وأحيانا يلجأ الأديب إلى استحضار تلك النصوص وتوظيفها على طبيعتها دون إحداث أي تغيير عليها، بحيث تكون ظاهرة لدى القارئ كأن نأتي بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف أو حتى بيت شعري ونقوم بمزجه في نص معين فهذه العملية التناصية المتجلية في النص تقوم على وعي من الكاتب بحيث يتم فيها تحويل وامتصاص النصوص في أتون التفاعل النصي لإخراج النص الجديد ويعمد فيه الأديب أحيانا إلى استحضار نصوص بلغتها ونصها، كالآيات القرآنية والحديث النبوي الشرفي والشعر.[1]

فالتناص المباشر أو ما يعرف بتناص التجلي يتفرع إلى أربعة فروع وهي: السرقة، الاقتباس، التضمين والاستدعاء، تعد هذه الفروع من أهم القضايا التي تفطن لها النقاد ووضعوها تحت سقف ما يسمى بالتناص المباشر.

1- **السرقة:** قال ابن منظور في لسانه: السرقة الأخذ بخفية، وهي من سرق الشيء يسرقه سرقا، والاسم السرق.[2]

---

[1]- ينظر: محمد الجعافرة، التناص والتلقي دراسات في الشعر العباسي، دار الكندي، الأردن، ط1، 2003م، ص15.

[2]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط2، 1998.

وقال عنها الدكتور محمد مفتاح هي النقل والاعتراض والمحاكاة مع إخفاء المسروق[1]، أي أخذ ونقل نصوص أو أشعار دون تدوين مصدرها ومرجعها ومن أين أخذت.

وخالفهم حسان بن ثابت نافيا عن نفسه صفة السرقة لما له من تملك للألفاظ والمعاني فقال:

لَا أَسْرِقُ الشُّعَرَاءِ مَا نَطَقُوا *** بَلْ لَا يُوَافِقُ شِعْرَهُمْ شِعْرِي[2]

فحسان في هذا البيت نفى عن نفسه سرقة شعر الشعراء حيث اعتز بشعره ورفض توافقه لشعر غيره.

وتبعه طرفة نافيا عن نفسه السرقة قائلا:

وَ لَا أَغِيرُ مِنَ الأَشْعَارِ أَسْرِقُهَا *** عَنْهَا عَنَيْتُ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ سَرِقَ[3]

فطرفة هنا نفى غيرته على الشعراء وسرقته لشعرهم فقام بوصف سارق الأشعار بأنه شر الناس.

وقد اهتم النقاد بالسرقات وقاموا بوضعها في مصنفات ومنه طرحوا عدة أسئلة: هل التناص هو نفسه السرقات؟ هل السرقات جزء من التناص؟ أم هل يختلف التناص عن السرقات؟ وكيف تقبل النقاد المحدثون مصطلح السرقات؟

---

[1]– محمد مفتاح، المرجع السابق، ص121.

[2]– حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ج1، ص53.

[3]– طرفة بن العبد، الديوان، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2003م، ص65.

لقد وضع النقاد المحدثون فروقا للتمييز بين السرقات والتناص وإقامة الفواصل بينهما فعلى مستوى المنهج اعتمدت السرقات المنهج التاريخي التأثري والسبق الزمني فالأصل للنص الأول والسارق هو اللاحق (النص الذي يحتوي على سرقات) والأفضلية للسابق،بينما اعتمد التناص على المنهج الوظيفي ولا يهتم كثيرا بالنص الغائب، أما على مستوى القيمة فقد سعت الآراء بالنسبة للسرقة على أنها شيء معاب مستنكر يدان صاحبه، أما في التناص فهو أهم ملامح الإبداع.[1]

فالاختلاف واضح بين التناص والسرقة مدروس من الناحية المنهجية والوظيفية وعلى مستوى القيمة.

فالسرقات تكون في الكلمات وبعض الجمل، وتمتد لتنال بعض المعاني المطروحة سابقا، لكنها لا ترتقي لتشاكل نصا كاملا هذا ما يجعلها تختلف عن التناص فالتناص كل والسرقات جزء.

كما أن التناص «ينظر إلى النص كاملا والأخذ فيه عنصر يتيح قراءة أجمل للنص فلا حدود بين البيت المأخوذ والنص الحاضر، لأن النص يقوم بعملية هدم البيت المأخوذ وبنائه في نص جديد، فيصبح إشارة إلى نص غائب يثري النص المأخوذ»[2]، فهنا نرى أن التناص هو عملية هدم لنصوص وبناء نصوص أخرى أي هدم بيت مأخوذ من قصيدة وإعادة بنائه في نص آخر جديد فيعتبر النص الغائب

---

[1]– ينظر: ظاهر محمد الزواهرة، التناص في الشعر العربي المعاصر، ص47.

[2]– عبد الباسط مراشدة، التناص في الشعر العربي الحديث، دار ورد، عمان، ط1، 2006م، ص68.

معطي والنص الحاضر مستقبل فالنص الأول يثري النص الحاضر ليجعله أكثر قيمة، لأن التناص «وعي فني تصدر عنه كل تجربة إبداعية، لأنها بالضرورة كانت قد تمثلت في تجارب سابقة تمثلا أفضى بها إلى التمييز الأسلوبي، بمعنى أن التناص اشتغال فني في بدايات تجارب كل المبدعين، والذي لا يتناص مع غيره هو من يبدع نصه من عدم وهذا غير موجود في بني آدم، وفي التجارب الأدبية الحديثة صار التناص جزء من مكونات الأداء في بعض الأجناس»[1] في هذا القول يعتبر التناص عملا فنيا يبدأ به كل مبدع في تجاربه وهو مكون أساسي من مكونات الأداء.

2- التضمين:

*** لغة:** مشتق من ضمن، وضمن الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المقاع والميت القبر وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه.[2]

والتضمين عند البلاغيين خاص بالشعر لا بالنثر ومعناه: أن تجعل في الشعر شيئا من شعر غيرك، فإذا كان هذا الشعر متداولا ومشهورا فإن شهرته كفيلة بالتعريف به، وإن كان غير مشهور وجب التنبيه لكي لا يظن أنه سرقة وهذا هو الفرق الملاحظ بين التضمين والسرقة، وهناك العديد من الشعراء الذين تضمن شعرهم

---

[1]- رحمن غركان، مرايا المعنى الشعري، أشكال الأداء في الشعرية العربية من قصيدة العمود إلى القصيدة التفاعلية، دار الصفاء، عمان، ط1، 2012م، ص558.

[2]- ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة ضمن.

لشعر غيرهم أمثال الحريري الذي نظم بيتا من الشعر فيه إشارة (دليل) على أنه ليس القائل فيه:

عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعَتِي *** أَضَاعُونِي وَأَيُ فَتَى أَضَاعُوا

فقوله «سأنشد» دليل على أن النصف الثاني من البيت الأول ليس للحريري فالإنشاد يكون لشيء سبق نظمه وقد نسب هذا البيت لأمية بن أبي الصلت وقيل هو لغيره.[1]

ومما سبق ذكره من الأبيات السابقة نلاحظ أن التضمين في بيت الحريري من بيت أمية بن أبي الصلت كان نتيجة الانسجام والتوافق بالإضافة إلى التفاعل الحيوي بين النصين.

والفرق بين السرقة والتضمين هو أن التضمين لابد فيه أن يشير الشاعر للبيت المضمن في حين السرقة هي النقل والاقتراض مع إخفاء المسروق وهذه المقارنة هي الفرق بين السرقة والتضمين.

أما من ناحية التضمين والاقتباس فهناك خلط بين المصطلحين، فهناك من رأى أن التضمين والاقتباس شيء واحد أمثال ابن الأثير، في حين رأى آخرون بضرورة

[1]– ينظر، بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح، تح: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ج4، ص423.

التفريق بين المصطلحين وهو على الأرجح الرأي الصواب الذي أميل إلى صحته، وهناك من أطلق عليه أسماء أخرى مثل الإبداع.[1]

ويعتبر التضمين من السمات البارزة في لغة الشعر العربي الحديث، حيث يعمد الشاعر إلى اللتفاف حول الدلالة الأولى ليحملها دلالات معاصرة تتيح لها مجاورة زمنيتها وإقامة تواصل نفسي بين حالتين هما: «الغياب والحضور» مما أدى إلى تكثيف المعطى الفني، والتعبير بدقة لغوية مركزة عما كان الشاعر مضطرا إلى شرحه والإسهاب فيه.[2]

وقد أوضح الدكتور رجاء عيد مفهوم التضمين في الشعر قائلا: « وبهذا المزج بين الأداءين تتشكل زمنية آنية، تختصر المسافة بين الصوتين، ليلتبس كل منها بصاحبه، فكلاهما رهين موقع متأزم أشبهت ليلته الظرف التاريخي فتضاف شذرات تحويرية تتسق مع الحالة الفارقة فيما يشبه تنويعات على الفكرة الأولى».[3]

فالتضمين من أنواع أنماط التناص المباشر يستعمله الشاعر فيأتي بالنص الغائب ويفرغه في إناء الحاضر عن طريق المزج المتوافق لتشكل زمنية آنية وهذا يشبه لحد كبير النظرية الآنية الزمانية لتشومسكي، مع المحافظة على تشابه المواقف واختلاف الظرف التاريخي.

---

[1]– ينظر، أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2001م، ص23.

[2]– ينظر، رجاء عيد، لغة الشعر، قراءة الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف الإسكندرية، ص93.

[3]– رجاء عيد، المرجع السابق، ص93.

3- الاقتباس: وهو بمعنى الأخذ والاستفادة و «القبس» النار، الشعلة من النار تقبسها من معظم، واقتباسها الأخذ منها، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾[1] ويقال: «قبست منه نارا فأقبسني، أي أعطاني منه قبسا وكذلك اقتبست منه نارا، واقتبست منه علما أيضا استفدته».[2]

ويعد الجاحظ أول من أشار إلى مفهوم التناص وذلك في قوله: «إن الناس يستحون أن يكون في الخطب أي من القرآن الكريم، فإن ذلك يورث الكلام الحسن والبهاء والوقار»[3]، فحسب رأي الجاحظ فإن الاقتباس من الأحسن أن يكون مستخلصا من القرآن الكريم لأن ذلك يضفي نوعا من البهاء والوقار فالقرآن معجز بألفاظه ومعانيه، كما نستخلص من كلام الجاحظ اختصاص الاقتباس بالنثر، الذي هو خلاف التضمين الذي يختص بالشعر، فالكثير من النقاد والبلاغيين لم يفرقوا بين هذين المصطلحين حيث أنهما « يدخلان تحت دائرة الأخذ المشروع»[4]، لكن من وجهة نظري الخاصة أن التضمين يختلف عن الاقتباس في كون التضمين خاص بالشعر والشعراء حيث يأخذ الشاعر بيتا أو بيتين من قصيدة معينة ويدمجها في قصيدته الأخرى مع ترك إشارة تضمين البيت إن لم يكن مشهورا، أما الاقتباس فهو الأخذ

---

[1]- سورة النمل، الآية 7.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص3510.

[3]- ينظر، الجاحظ، البيان والتبيين، تح درويش جويدي، المكتبة العصرية، بيروت، 2008م، مجلد 1، ص80.

[4]- أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، ص24.

من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى الشعر والنثر فهو شامل على التضمين، وقد أجمع بعض « العلماء على أن التضمين من الكلام أو الحديث يسمى اقتباسا» بالمفهوم من هذا القول هو أن التضمين إذا كان من القرآن الكريم أو الحديث الشريف يسمى اقتباسا.[1]

وقد استدعى الشاعر في قصيدته البكاء بين يدي زرقاء اليمامة شخصية عنترة بن شداد العبسي، حيث قام باستعراض أعماله الموكلة له داخل القبيلة باعتباره أحد عبيدها فقال:

طَلَبْتُ مِنْ عِبَسْ اُحْرُسْ القِطْعَان
أَجْتَزُّ صُوفَهَا
أَنَامُ فِي حَظَائِرِ النِّسْيَان
طَعَامِي الكِسرةُ والمَاءُ وبَعْضُ الثَّمَرَاتِ اليَابِسَة
وهَا أَنَا فِي سَاعَةِ الطِّعَان
سَاعَةُ أَنْ تُخَاذِلَ الكُمَاةَ والرُّعَاةَ وَ الفُرْسَان

دُعِيتُ لِلمَيْدَان

أَنَا الذِي مَا ذُقْتُ لَحْمَ الضَّان

أَنَا الذِي لَا حَوْلَ لِي ولَا شَان

أَنَا الذِي أُقْصِيْتُ عَنْ مَجَالِسِ الفِتْيَان

---

[1]– أحمد حسن حامد، التضمين في العربية، ص28.

أَدْعُ إِلَى المَوْتِ وَلَمْ أَدْعُ اليَابِسَة[1]

فآلية الاستدعاء قد تتناسب تناسبا واضحا مع دلالة السياق، لأن الاسم المباشر لعنترة بن شداد يحظى بقدر كبير من صفات العزة والشرف لا تتناسب مع عالم العبودية والذل الذي يلح الشاعر على تصويره، كما أن ذكر قبيلة عبس مصاحبا لدور العبودية في قوله: « ظلت في عبيد بني عبس، يوحي بأن دور العبودية مخصص لعامة الشعب وليس مقصورا على عنترة فقط»[2]، فهنا نفى عنترة العبودية عن نفسه فقط وأشار إلى أنها تشمل عامة قبيلته.

بالإضافة إلى ذلك فإن الشاعر أمل دنقل تفاخر بشدة لاستدعائه لشخصية زرقاء اليمامة الموجودة في عنوان القصيدة التي امتازت بالفطنة فنبهت قومها مرارا وتكرارا إلا أنهم لم يصغوا إليها، فالشاعر هنا قام بما قامت به زرقاء اليمامة من تنبيه قومه وتحذيرهم لكن لا حياة لمن تنادي ولا مجيب.

ب) التناص غير المباشر (التناص اللاشعوري): وهو ما يسمى بتناص الخفاء فيقوم الشاعر بتوظيفه وربما يكون في حالة اللاوعي، أي أنه ربما يوظف نصوصا أخرى في نصه لكن دون قصد ولتحقق ذلك يجب على المؤلف أن يكون مشبعا بثقافات واسعة ومختلفة حول التناص ويكون بأشكال مختلفة هي: التلميح والرمز والتلويح والإيماء والإشارة وهو عملية شعورية يقوم بها الأديب من خلال استنتاجات مع

---

[1]– أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 478هـ، ص123–124.

[2]– أحمد مجاهد، أشكال التناص الشعري، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 2006، ص89.

النص المتداخل معه وإظهار أفكار النص القديم وإظهارها في النص الجديد وتعتمد هذه الأنماط على فهم المتلقي أو القارئ وتحليله للنص.

وقد عالج هذا النوع من التناص الدكتور محمد عزام تحت عنوان «التناص الطازجي» فقد عرفه قائلا: «بأنه حوار بين نص ونصوص أخرى متعددة المصادر والمستويات وعملية استشفاف التناص الخارجي ليست بالسهلة وخاصة إذا كان النص مبنيا بصفة حاذقة ولكنها مهما تسترت واختفت فلا تخفى على القارئ المطلع الذي بإمكانه إعادتها إلى مصادرها»[1] ويقصد بذلك بأنه اندماج بين نصوص مختلفة من حيث المصادر والمراجع والمستويات، وأشار إلى صعوبة توضيح واكتشاف التناص الخارجي، وخاصة إذا بني النص بدقة، لكن صعوبتها تتيسر على القارئ البسيط غير المثقف والمطلع لأنها تحتاج إلى ثقافة وممارسة وإمكانية العودة إلى المراجع.

وقد أشارت نهلة الأحمد إليه قائلة: « وليس بالضرورة أن يأتي التناص الخارجي تناصا حرفيا، مثل التناص الداخلي بل يمارس عليه تحريف أو تشويش أو خرق وبآليات مختلفة»[2] تقصد بقولها: أن التناص غير المباشر يختلف كليا عن التناص المباشر(التناص الداخلي) فالأول ليس بالضرورة أن يكون حرفيا على خلاف

---

[1]– محمد عزام، المرجع السابق، ص32.

[2]– ينظر، نهلة الأحمد، التفاعل النصي، مؤسسة اليمامة الصحفية، مجلة كتاب الرياض، السعودية، عدد104، 2002م، ص284.

التناص الداخلي بل يمكن أن يحمل في طياته تحريف وتغيير أو ما شابه ذلك، وذلك يكون بطرائق مختلفة هي:

1-التلميح:

* **لغة:** لمح إليه لمحا، وألمح: اختلس النظر، وقال بعضهم: لمح:نظر، واللمحة: النظرة بالعجلة[1]، ومعنى ذلك بصفة عامة النظرة بخفة.

***اصطلاحا:** «وهو أن يشير المتكلم في أثناء كلامه ومعاطف شعره أو خطبه إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة فيلمحها فيوردها لتكون علامة في كلامه، وكالشامة في نظامه»[2] ومعناه أن يتضمن كلام الكاتب في شعر أو خطبة على مثل متداول أو شعر أو قصة رغبة في أن تكون رمزا وإشارة في كتاباته ونظامه.

أو «هو الإيماء المباشر أو غير المباشر في الشعر والنثر إلى قصة معروفة ومتداولة أو مثل سائر أو بيت مشهور من الشعر من غير تفضيل»[3] ويعني ذلك إيحاء داخلي أو خارجي في الشعر أو النثر إلى قصة معروفة ومتداولة أو مثل سائد أو بيت مشهور من دون اللجوء إلى التفصيل والتوضيح.

وقد قال عنه السبكي في «عروس الأفراح»: «التلميح أو التمليح، وهو الإشارة في الكلام إلى قصة أو مثل أو شعر من غير ذكره».

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة لمح.

[2]- يحيى اليمني، الطراز، مطبعة المقتطف بمصر 1914،ج3، ص171.

[3]- ينظر، القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، منشورات دار الكتاب، شرح محمد خفاجي، ج1، ص338.

وهذا مستجد في قول أبي تمام:[1]

فَوَ اللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلَامُ نَائِمٍ *** أَلَمَّت بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرُّكَبِ يُوشِعُ

فهذا البيت يحمل في طياته إشارة إلى يوشع بن نون فتى سيدنا موسى عليه السلام الذي استوقف الشمس (فيه إشارة إلى قصة).

أما الإشارة إلى الشعر في قول الشاعر:

لِعَمْرُوا مَعَ الرَّمْضَاءِ وَالنَّارُ تَلْظَى *** أَرَقُّ وَأَحْفَى مِنْكَ سَاعَةَ الكَرَب

وفي البيت السابق إشارة إلى بيت مشهور القائل:

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرُوا عِنْدَ كُرْبَتِهِ *** كَالمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّار

2-الرمز: رمز إليه يرمز رمزا أومأ وأشار بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو أي شيء كان[2]، ومعناه الإشارة بعضو من الأعضاء كالرأس أو العينين أو أي شيء كقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۖ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[3] والرمز في هذه الآية هو إشارة دلالية ذات مغزى تحتاج هذه الأخيرة إلى مجهود لتتم عملة الفهم.

ويعتبر ابن رشيق من بين المتحدثين عن الرمز في كتابه العمدة ضمن باب: «الإشارة من غرائب الشعر وملحه، وبلاغة عجيبه تدل على بعد المرمى وفرط

---

[1]- السبكي، المرجع السابق، ص436.

[2]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المرجع السابق، ص372.

[3]- سورة آل عمران، الآية 41.

المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز والحاذق الماهر. وهي في كل أنواع الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه».[1]

وقد اختصر ابن رشيق أن الرمز يعد ضمن باب الإشارة من غرائب الشعر بلاغة دالة على بعد المقصود وكثرة الإمكانية ولا يستطيع الإتيان بها إلا الشاعر الماهر والمتمكن وهي بأنواعها لمحة دالة واختصار، حيث أن ظهور لفظه لا يعني فهم معناه مباشرة بل يستدعي ذلك إلى مهارة في الفهم والتفسير.

وقد عرف النقاد الرمز بأنه «علامة تعبير ممثلة لشيء آخر ودالة عليه، فتمثله وتحل معه، والرمز يمتلك قيما تختلف عن قيم أي شيء آخر يرمز إليه كائن ما كان، وهو علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر».[2]

والمقصود بالرمز عند النقاد أنه تمثيل لشيء آخر يدل عليه بحيث أن الرمز يحمل قيما لا تتوفر في أي شيء آخر وهو علامة محسوسة تدل على شيء غائب.

وحاجة الإنسان للرمز نبعت «من رغبته في تحقيق المعنى للأنظمة الدلالية واستغلالها في بناء المعنى... فالأحداث والظواهر والأشياء لا يمكن أن تتحقق وظيفتها الثقافية إلا من خلال قدرتها على إثارة المعنى داخل النص».[3]

---

[1]– ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، الجزائر، ط5، 1981، مجلد1، ج1، ص304.

[2]– محمد التوجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، د.ب.ن، ط2، 1999، مجلد2، ص488.

[3]– طراد الكبيسي، مدخل في النقد الأدبي، دار البازوري العلمية، عمان، د.ط، 2009م، ص90.

فالإنسان بحاجة ماسة للرمز ودافع ذلك رغبته في تحقيق المعنى للأنظمة الدلالية واستغلالها في بنائه، فجل الظواهر لا تتحقق وظائفها إلا بعد توضيحها للمعنى داخل النص.

فلجوء الشاعر إلى النص ليس هدفه إجهاد القارئ وإنما دفعه إلى إعمال فكرة لاستنباط المعاني المراد توصيلها ويلجأ إلى الرمز في حالات عدم تمكنه من إبلاغ مراده... إضافة إلى الرغبة في الظهور شكلت عوامل أساسية لظهور الرمز في العالم العربي عن طريق إلباس الشعر حلة الغموض.[1]

ومن معايير النقدية التي وضعها النقاد لقياس الرمز، ارتكزت بصورة أساسية على الطول يتمتع به الرمز في النص الشعري، وعمقه على الاعتماد على درجتي الكثافة الدلالية للرمز، ومدى انتشاره، فمن الممكن أن يستغرق الرمز كل القصيدة أو جزءا هاما منها أي في عدة أبيات أو مقاطع[2]، فطول الرمز وعمقه من حيث درجة الدلالة والكثافة كلها معايير تحدد قياس الرمز على مدى القصيدة.

وقسم النقاد الرمز إلى:

أ) الرمز الشخصي: ويكون من إبداع الشاعر أما معرفته فهي خاصة بالقارئ الذي يعتمد فيها على التخمين والثقافة المتخصصة.

---

[1]– ينظر، يحيى زكريا الآغا، البنية اللغوية والموسيقية في الشعر الفلسطيني المعاصر، خان يونس، دار الحكمة، ط1، 2000م، ص277.

[2]– ينظر، صلاح فضل، الأساليب الشعرية المعاصرة، دار الأدب للنشر والتوزيع، 1995، ص114.

ب) الرمز السياقي: يمكن فهمه من السياق.

ج) الرمز التقليدي: وهو الرمز الأسطوري، والديني، والتاريخي، والشعبي.[1]

وهذا الأخير (الرمز السطوري) هو الذي قامت دراستنا التطبيقية عليه فهو الذي يحتوي على أنواع التناص المنبعثة من التراث (التقاليد).

[1]– ينظر، عبد القادر أبو شريفة وآخرون، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، ط4، 2008، ص65.

الفصل الثاني: التناص الديني في خطب أبي بكر الصديق ووصاياه

المبحث الأول: الخطب

المبحث الثاني: الوصايا

تمهيد

يعد الخطباء من أبرز المقتدين بالرسول صلى الله عليه و سلم والقرآن الكريم ويظهر ذلك في خطبهم ووصاياهم، وهم يفتحونها بحمد الله والثناء عليه وتمجيده والصلاة على رسوله الكريم مستمدين من الحديث والقرآن ما يلزمهم في وعظهم وخطبهم بالإضافة إلى وصاياهم، وقد بلغوا من الفصاحة والبلاغة والبيان أساسا لكتاباتهم، مما جعل من خطبهم ترتقي إلى منزلة عالية في صدر الإسلام، وكان أبو بكر الصديق من أبرز الخطباء الذين ظهروا في ذلك العصر، وقد استعمل في خطبه ووصاياه عديد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في شكل تناص ديني.

وقد اتخذت من خطبه ووصاياه محلا للدراسة في الجانب التطبيقي من بحثي، وقد احتوى هذا الجانب

على إحدى عشرة خطبة وأربع وصايا تحمل في طياتها تناصا دينيا على شكل آيات قرآنية وأحاديث شريفة.

المبحث الأول: الخطب

ففي هذا المبحث جعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخطب وسيلة فعالة، موظفا فيها بكثرة التناص الديني الذي استنبطه من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، جاعلا إياها، مصدرا ومؤولا أساسيا ليلفت به أنظار الناس ويؤثر على قلوبهم ويزرع روح الإيمان في عروقهم.

وقد احتوى هذا المبحث على إحدى عشرة خطبة كانت عبارة عن نداء قوي يهدف إلى كسب الناس للالتفاف حول دينهم الحنيف وهي متمثل في:

أ. خطبة أبي بكر رضي الله عنه: حمد الله و أثنى عليه ثم قال:

«إن الله بعث محمدا رسولاً إلى خلقه، و شهيداً على أمته، ليعبدوا الله و يوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، يزعمون أنها لهم عنده شافعة و لهم نافعة، و إنما هي من حجر منحوت، و خشب منجور، ثم قرأ: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله مَا لا يضُرُّهُمْ و لا ينفَعُهُم و يَقُولُون هؤلاء شُفَعَاؤنَا عِنْدَ الله و قَالُوا مَا نَعْبُدُهُم إلا ليُقربُونَا إلى الله زُلْفَى» فعظم على العرب أن يتركوا دين أبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، و الإيمان به، و المؤاساة له، و الصبر معه، على شدة قومهم لهم، و تكذيبهم إياهم: وكل الناس لهم زارٍ عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم، و شنق الناس لهم، و إجماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض و امن بالله و بالرسول، وهم أولياؤه و عشيرته، و أحق الناس بهذا الأمر من بعده، ولا ينازعهم

ذلك إلا ظالم، و انتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام، رضيتكم الله أنصارا لدينه و رسوله، و جعل إليكم هجرته وفيكم جلة أزواجه و أصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، و انتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة و لا تقضي دونكم الأمور».[1]

بدأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه خطبته بحمد الله و الثناء عليه ثم ذكـــر أن الله بعث لخلقته رسولا وشهيـــدا ليدعوهـــم إلى عـــبادة الله عز وجل و تـــرك عبادة الأصنام التي لا تضر و لا تنفع فقال «...ليعبدوا الله و يوحده، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى يزعمون أنها لهم شافعة، و لهم نافعة، و إنما هي من حجر منحوت، و خشب منجور و في معنى هذا القول جاء عديد الآيات القرآنية الموافقة له كقوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾[2] فهذه الآية توافق ما خطبه الخطيب ففيها تلميح لكلامه و إيماء و هذا ما يعرف بالتناص غير المباشر ثم انتقل مباشرة إلى ذكر أية قرآنية في قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3] فهذه الآية مناسبة لما قاله الله على

---

[1]– أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، دار الكتب العلمية، ط1، 2009، مجلد3، ج2، ص62–63.

[2]– سورة الفرقان، الآية 3.

[3]– سورة يونس، الآية 18.

كرم الله وجهه الذي ذكر الآية كاملة في نص الخطابي وهذا ما يعرف بالتناص المباشر.

ب. نص آخر لأبي بكر الصديق يوم السقيفة:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس: نحن المهاجرون، أول الناس إسلاما، وأكرمهم انسابا، وأوسطهم دارا، وأحسنهم وجوها، وأكثر الناس ولادة في العرب، واشوهم رحيما برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قلبكم، وقدمنا في القران عليكم، فقال: «فَنَحْنُ المُهَاجِرُونَ وَأَنْتُم الأَنْصَار، إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ، وَشُرَكَاؤُنَا فِي الفَرء، وَأَنْصَارُنَا عَلى العَدُوَّ، أَويتُكُم وَوَاسَيْتُكُم، فَجَزَاكُم اللهُ خَيراً، فَنَحْنُ الأَمَرَاءُ، وَأَنْتُم الوُزَرَاءُ، لاَ تَدِينُ العَربُ إِلاَّ لِهَذَا التيِّ مِنْ قُرَيْشُ، فَلاَ تَنَفَسُوا عَلى إِخْوَانِكُمْ مَا مَنَحَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِه»[1].

ففي آخر خطبه لأبو بكر الصديق كانت يوم السقيفة فبعد أن حمد الله وأثنى عليه بدأ بالمهاجرين فاعتبرهم أول الناس إسلاما وأكرمهم وأوسطهم دارا وأحسن الناس وجوها وأكثر الناس ولادة في العرب وارحمهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمهم وأقدمهم وهذا موجودا في قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2]. فقوله مطابق لقوله عز

---

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص63.

[2]– سورة التوبة، الآية 100.

وجل أي معنى ما يحمله قول أبو بكر الصديق هو نفسه ما يحمله معنى الآية الكريمة ومنه ذلك تشكل تناصا دينيا مباشرا ما زاد الخطبة وضوحا وقوة.

ج. خطبته يوم قبض الرسول صلى الله عليه و سلم:

دخل أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، على النبي عليه الصلاة و السلام و هو مسجَّى بثوب، فكشف عنه الثوب، وقال: «بابي وأمي طبت حياً و طبت ميتاً، وانقطع لموتك ملم ينقطع لموت احد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلات، وعممت حتى صرنا فيك سواء ولو لا أن موتك كان اختصاراً منك، لجُدنا لموتك بالنفوس، ولولا انك نهيت عن البكاء، لا تفدنا عليك ماء الشئون، فأما ما لا تستطيع تقيه عنا، فكمدٌ وادناف، يتخالفان و لا يبرحان، اللهم فابلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك، و لنكن من بالك، فلولا ما خلقت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم ابلغ نبيك عنا وأحفظه فينا»، ثم خرج إلى الناس و هم في شديد غمرتهم، وعظيم سكراتهم، فخطب خطبة قال فيها: «أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، واشهد أن الكتاب كما نزل، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث، وإنا القول كما قال، و أن الله هو الحق المبين.....في كلام طويل ثم قال: أيها الناس، من كان يعبد محمدا فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حيٌ لا يموت، و أن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه، و خلق

فيكم كتابه و سنَّة نبيَّه، فمن اخذ بها عرف، و من فرق بينهما أنكر يأيها الذينَ آمنوا كُونُوا قَوامين بالقِسْطِ، و لا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم، و لا تفتننكم عن دينكم، فعاجلوه بالذي تعزونه، ولا تستنظروه فيلحق بكم»[1].

فقد سار أبو بكر الصديق و من جاء بعده من الخلفاء الراشدين يدعون الناس إلى طاعة الله و نبيه، متخذين آداب الإسلام و تعليمات القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف وسيلة لهم للوصول إلى قلوب الناس، فطغى هذا الجانب على خطب أبي بكر الصديق و وصاياه فكانت مفعمة بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية و لا تكاد تخلوا من القيم الإسلامية، وقد بين أبو بكر الصديق ذلك من خلال خطبه و كانت أول خطبة له يوم قبض الرسول صلى الله عليه و سلم فوصف فيها حالته و حزنه على خير الأنام و دعا له ربه و خطب خطبته للناس مستوحياً ألفاظه من القرآن الكريم وفي هذا الجانب يقول: « و إن الله هو الحق المبين» وهو كلام مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[2] فنجد أن قول أبو بكر الصديق موافق للجزء الأخير من الآية (و إن الله هو الحقُّ المبين) بالإضافة إلى قوله: يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط، فقد ورد هذا القول في القرآن الكريم في قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص66-67.

[2]– سورة النور، الآية 25.

تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1]

ومنه نجد أن النص في الخطبة يتلاءم مع النص في القرآن فقد جاء الأسلوب الخطابي متضمناً تناصاً مباشراً لأية من القرآن الكريم.

ث) – خطبته بعد البيعة:

حمد الله و أثنى عليه ثم قال: «أيها الناس: إني قد وليت عليكم و لست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، و إن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم ــ فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، إلا أن أقواكم عند الضعيف حتى اخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا و استغفر الله لي و لكم»[2].

فأبو بكر ألقى خطبته بعد أن حمد الله و أثنى عليه ففي هذه الخطبة بين الخطيب عدة أصول يتجلى بها الحاكم عند توليه الحكم وهي أصول إسلامية ذكرها ابن باديس في: أصول الولاية في الإسلام من خطبة الصديق رضي الله عنه فلما بويع لأبي بكر الصديق، رضي الله عنه، بالخلافة و في المنبر فخطب خطبة اشتملت على أصول الولاية في الإسلام مما لم تحققه بعض الأمم إلا من عهد قريب على اضطراب منها فيه.

---

[1]– سورة النساء، الآية 135.

[2]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص64.

- لا حق لأحد في ولاية أمر من أمور الأمة إلا بتوليه الأمة فالأمة هي صاحبة الحق و السلطة في الولاية و العزل وهذا مأخوذ من قوله: (وليت عليكم) أي: قد وليت غيري، و هو انتم.

- الذي يتولى أمرا من أمور الأمة هو أكفؤها فيه: لا خيرها في سلوكه فإذا كان شخصان اشتركا في الخيرية و الكفاءة و كان احدهما أرجح في الخيرية و الأخر أرجح في الكفاءة على الأرجح في الخيرية و لا شك أن الكفاءة تختلف باختلاف الأمور و المواطن.....وهذا الأصل مأخوذ من قوله: (ولست بخيركم).

- لا يكون احد بمجرد ولايته أمرا من أمور الأمة خيرا من الأمة و إنما تنال الخيرية بالسلوك و الأعمال، فأبو بكر إذ كان خيرهم، فليس ذلك لمجرد ولايته عليهم، بل ذلك لأعماله و مواقفه، وهذا الأصل مأخوذ أيضا من قوله (ولست بخيركم).

- حق الأمة في مراقبة أولي الأمر لأنها مصدر سلطتهم.

- حق الوالي على الأمة فيما تبذله من عون، إذا رأيت استقامته فيجب حينها أن تتضامن معه و تؤيده، و إذا هي شريكة معه في المسؤولية، وهذا كالذي قبله مأخوذ من قوله: (إذا رأيتموني على حق فأعينوني).

- حق الوالي على الأمة في نصحه و إرشاده في قوله (وإذا رأيتموني على باطل فسددوني).

– حق الأمة في مناقشة أولى الأمر و محاسبتهم على أعمالهم قوله (وإن رأيتموني على باطل فسددوني).

د. خطبة أخرى له بعد البيعة:

وقال البيطري: ناد منادي أبى بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتم بعث أسامة: إلا لا يبقين بالمدينة اخذ من جند أسامة إلا خرج عسكره، وقام في الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « يا أيها الناس: إنما أنا مثلكم، واني لا أدي لعلكم ستكلفونني بما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيق. إن الله اصطفى محمد على العالمين وعصمه من الآفات، وإنما متبع، ولست مبتدع، فإن استقمت فتابعوني، وان زغت فقوموني، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض، وليس احد من هذه الأمة يطلب بالمضلة ضربه سوطا فما دونها، إلا وان لي شيطانا يعتبرني فإذا أغضبت فاجتنبوني، ولا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، إلا وإنكم تعدون وترحبون في اجل غير غيب عنكم عمله، فإن استطعتم إلا يمحني هذا الأجل إلا وانتم في عمل صالح فافعلوا، ولن تستطيعون ذلك إلا بالله، فسابقوا في مهل آجالكم، من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال، فان قوما ينسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فإياكم أن تكونوا أمثالهم الجد الجد والوقا الوقا، والنجاء النجاء فإن

وراءكم طلب حديثا، أجلا مره سريعا، احذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والأخوات ولا تعطوا الأحياء إلا بما تعطون به الأموات»[1].

فبعد البيعة جمع ابو بكر الثابت وألقى خطيبته موظفا في هذه الخطبة توجه إلى اخذ ألفاظ قرآنية استوحاها من سورة آل عمران في قوله رضي الله عنه ﴿إن الله اصطفى محمد على العالمين﴾ فلفظه « اصطفى» وشبه الجملة « على العالمين» مستوحاه من قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[2] وهنا تناص غير مباشر مما أعطى الخطبة قوة في الألفاظ ووضوحا في المعنى.

ه. خطبة أخرى:

قال الطبري: وقام أيضا فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال « أن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فا ريدوا الله بأعمالكم، و اعملوا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أأتيتموها، وحظ ظفـــــرتم به، و ضرائب أتيتموها، وسلف قد متموه مـــن أيام فانية لأخرى باقية، لحيـــن فقركم و حاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، و تفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس ؟ و أين هم اليوم ؟ أين الجبارون ؟ و أين الذي كان لهم ذكر القتال و الغلبة في مواطن الحروب ؟ قد ضعضع بهم الدهر، وصاروا رميماً، قد تركت عليهم القالات، الخبيثات، و إنما

---

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص69.

[2]– سورة آل عمران، الآية 33.

الخبيثات للخبيثين والخبثون للخبيثات وأين الملوك الذين أثاروا الأرض و عمروها ؟ قد بُعدوا، و نسى ذكرهم، و صاروا كلا شيء إلا و أن الله قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، و مضوا و الأعمال أعمالهم و الدنيا دنيا غيرهم، و بقينا خلفاً من بعدهم، فان نحن اعتبرن بهم نَجَوْنَا، و أن اغتررنا كنا مثلهم، أين الوضاء الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم ؟ صاروا تراباً، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن و حصنوها بالحوائط، و جعلوا فيها الأعاجيب ؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبـــور، هل تحس منهم من احد، أو سمع لهم ركزاً ؟ أين من تعرفون من أبنائكم و إخوانكم ؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا فَحَلُّوا عليه، و أقاموا للشَّقْوَةِ و للسعادة فيما بعد الموت، إلا أن الله لا شريك له، ليس بينه و بين احد من خلقه سبب يعطيه به خيراً، و لا يصرف عنه به سوءا إلا بطاعته، أما و انه لا خير بخير بعده النَّارُ، و لا شر بشر بعده الجنَّة »[1].

ففي هذه الخطبة التي أقامها أبي بكر الصديق رضوان الله عليه الذي تكلم فيها عن عديد المواضيع الدينية مقتبسا من القرآن الكريم آيات أوضحت خطبته قائلا: «الخبيثات للخبيثين و الخبثون للخبيثات» وهذا تناص مباشر مقتبس من قوله جل جلاله: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ

[1]- أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص69-70.

لِلطَّيِّبَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[1] فقول أبا بكر الصديق مطابق لقوله الله تعالى وهذا ما يدعى التناص المباشر.

و. خطبة له:

فمن خطبه:«حمد الله و أثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه و سلم، ثم قال: « إن أَشْقَى النَّاس في الدُّنيا و الآخرة الملوك، فرفع الناس رؤوسهم، فقال: مالكم يا معشر الناس ؟ أنكم لطعامون عجلون، إن من الملوك من إذا مَلَكَ زَهَّدَهُ الله فيما في يده و رغبه فيما في يدي غيره، و انتقصه شطر أجله، و أشرب قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، و يتسخوا الكثير، و يسأم الرخاء، و تنقطع عنه لذة البهاء، لا يستعمل العبرة، و لا يسكن إلى الثقة، فهو كالدرهم القيسي و التراب الخادع، جدل الظاهر، حزين الباطن، فإذا وجبت نــفسه، و نضب عمره، وضَحَا ظِلُّه، حاســبهُ الله فأشدَّ حــسابه و آفَلَّ عفوَهُ إلا إنْ الفقراء هم المرحومون و خير الملوك من آمن بالله، و حكم بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم، و أنكم اليوم على خلافة نبوة، و مفرق محَجَّة، وسترون بعدي ملكاً عَضُوضاً وأُمَّة شعاعاً، ودما مُفَاحاً فان كانت للباطل نزوة، و لأهل الحق جَوْلة، يعفو لها الأثر، و تموت السُّنن، فألزموا المساجد و استشيروا القرآن، وألزموا الجماعة و ليكن الإبرام بعد

[1]– سورة النور، الآية 26.

التشاور و الصفقة بعد طول التناظر، أي بلاد خَرشَنة أن الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح أدناها »[1].

ففي هذه الخطبة بين أبو بكر الصديق للناس سبب شقاوة الملوك بعد استغرابهم من قوله: إن أشقى الناس في الدنيا الملوك فوظف ألفاظا إسلامية مستوحاة من القرآن الكريم في قوله (كالدرهم القسي) والقساوة موجودة في قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ [2] و في قول الخطيب: (ضحا ظله) و الضُّحى موجودة في قرأننا الكريم في قوله تبارك و تعالى: ﴿ وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾[3] ثم انتقل بوصف الملك إذا ملك ثم تحدث عن خير الملوك فأشار لخاصية له إلا وهي أنا حكم بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم.

ثم وصاهم ببعض الوصايا من بينها «و ليكن الإبرام بعد التشاور» وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[4] و هو تناص ديني قرأني.

ز. وخطب أيضا فقال:

الحمد لله احمده و استعينه و استغفره وأومن به و أتوكل عليه و استهدي الله بالهدى و أعوذ به من الضلالة و الردى ومن الشك و العمى، من يهد الله فهو

---

[1]- أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص70-71.

[2]- سورة الزمر الآية 22.

[3]- سورة الضحى الآية 1-2.

[4]- سورة آل عمران الآية 159.

المهتدي و من يظلل فلن تجد له ولياً مرشداً، و اشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي و يميت وهو حي لا يموت يعز من يشاء و يذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير و اشهد أن محمدا عبده و رسوله، أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، إلى الناس كافة رحمة لهم، و حجة عليهم، و الناس حينئذ على شر حال في ظلمات في الجاهلية دينهم بدعة و دعوتهم فرية، فاعز الله الذين محمد صلى الله عليه و سلم، و ألف بين قلوبهم كذلك يبين لكم آياته لعلكم تهتدون، فأطيعوا الله و رسوله، فانه قال عز وجل: «من يطع الرسول فقد أطاع الله، و من تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا».

أما بعد أيها الناس: إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم و كرهتم، فانه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، و من يفجر يهلك، و إياكم و الفخر، و ما فخر من خلق من التراب، وإلى التراب يعود ؟ هو اليوم حي وغداً ميت، فاعملوا و عدُوا أنفسكم في الموتى وما أشكل عليكم فردوا علمه أي الله وقدموا لأنفسكم خيرا تجدوه محضرا فإنه قال عز وجل: «يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها و بينه أمد بعيدا و يحذركم الله نفسه، والله رءوف بالعباد » فاتقوا الله عباد الله و راقبوه، و اعتبروا بمن مضى قبلكم و اعلموا انه لا بد من لقاء ربكم، والجزاء بأعمالكم: صغيرها و كبيرها، إلا ما غفر الله انه غفور رحيم، فأنفسكم

أنفسكم و المستعان الله و لا حول ولا قوة إلا بالله « إن الله و ملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين امنوا صلوا عليه و سلموا تسليما « اللهم صلي على محمد عبد ورسولك امن أفضل ما صليت على احد من خلقك و زكنا بالصلاة عليه، و ألحقنا به واحشرنا زمرته وأوردنا حوضه، اللهم أعنا على طاعتك وانصرنا على عدوك»[1].

ومن خلال قراءتنا للخطبة نلاحظ أنها خطبة مفعمة بالتناص الديني فقد وظف فيها أبو بكر الصديق عديد الآيات القرآنية و مزجها في حديثه، كما انه وظف في خطبته أحاديث دينية يزيد من قوة تعبيره و ألفاظه وليصل قوله إلى قلوب الناس فيؤثر فيها، فبدأ خطبته بعد أن حمد الله واستعان به واستغفر له وتوكل عليه وهدى إليه قائلا: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[2].

ومن التناص من القرآن الكريم انتقل مباشرة إلى التناص في الحديث في قوله: «إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد.....وهو على كل شيء قدير» و هنا تناص من قول أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص71–72.

[2]– سورة الكهف الآية 17.

قال: « من قال لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد وهو على كل شئ قدير.....»[1].

و يوجد تناص قراني في قوله: « يحي و يميت و هو على كل شئ قدير» تناص مباشر من قوله جل جلاله: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] وجاء في دعاء السُّوق (من دخل السُّوق) فقال: «لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يحي و يميت و هو حي لا يموت بيده الخير و هو على كل شيء قدير..... و رفع له ألف ألف حسنة»[3] وهو موافق لقول أبي بكر: « لا اله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير» وهو تناص من الحديث الشريف.

وقد أكثر توظيفه للآيات القرآنية رغبة منه في استخدام التناص في نصه فقال: «له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حي لا يموت يعزُّ من يشاء و يذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شئ قدير» ففي هذا القول إشارة إلى أية قرآنية مفادها قول الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [4].

---

[1]– رواه بخاري و مسلم و الترمذي و النسائي، و ابن ماجه، وزاد مسلم و الترمذي و النسائي.

[2]– سورة الحديد الآية 2.

[3]– سنن الترمذي عن عبد الله بن عمر.

[4]– سورة آل عمران الآية 26.

وقوله كذلك: «أرسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله، و لو كره المشركون» وهذا نابع من قول الرحمن الرحيم: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1] فهو تناص مباشر موافق للألفاظ و المنى معا.

وقد لجأ أبو بكر في خطبته إلى سورة أخرى من القرآن الكريم مقتبساً منها أية قرآنية فقال: «.... و ألف بين قلوبهم كذلك يبين لكم آياته لعلكم تهتدون » وهذا القول مستوحى من قوله تبارك و تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2] فأبو بكر الصديق اختار جزء من الآية الكريمة و وظفها في خطبته مشكلا تناصاً قرآنياً.

بالإضافة إلى توظيفه لقول الله عز مباشرة في قوله تبارك و تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[3] وهو عبارة عن تناص مباشر، كما انه نهى عن الفخر و عدم التكبر مستنبطاً نهيه من وصايا لقمان الحكيم لابنه فقال: «وإياكم و الفخر» وهو تناص غير مباشر من قوله تعالى:

---

[1]– سورة التوبة الآية 33.

[2]– سورة أل عمران الآية 103.

[3]– سورة النساء الآية 80.

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1].

ودعى إلى الخير بقوله: « وقدموا لأنفسكم خيرا تجدوه محضرا» ثم أكـد قوله بقول خالقه الذي قال: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[2] فقول أبو بكر الصديق موافق لما ذكر في الآية الكريمة مما دل على وجود تناص ديني.

وقد طلب أبو بكر الصديق من الناس أن يصلوا على النبي صلى الله عليه و سلم بهدف توظيفه للتناص و لتأثره بالقيم الدينية فقال:« يأيها الذين امنوا صلوا عليه و سلموا تسليما » و هو تناص من قول مالك الملك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3] وذلك باعتبار الصلاة عماد الدين وركن أساسي له.

ح. وخطب أيضا:

فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال: «أوصيكم بتقوى الله، و أن تثنوا عليه بما هـــو أهلـــــه و أن تخلطوا الرغبة بالرهبة، و تجمعوا الإلحاف بالمسالة، فان الله أثنى

---

[1]– سورة لقمان الآية 18.

[2]– سورة آل عمران الآية 30.

[3]– سورة الأحزاب الآية 56.

على زكريا و على أهل بيته فقال: « أنهم كانوا يسارعون في الخيرات و يدعوننا رغبا و رهبا و كانوا لنا خاشعين» ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم، و اخذ على ذلك مواثيقهم وعوضكم بالقليل الفاني الكثير الباقي، و هذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه و لا يطفأ نوره فثقوا بقوله، و انتصحوا كتابه، و استبصروا فيه ليوم الظلمة، فانه خلقكم لعبادته و وكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون[1].

فأبو بكر الصديق اقتبس عبارة: أوصيكم بتقوى الله من الحديث النبوي الشريف فعن ابن نجيح العرباص بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه و سلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة كودعٍ فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله..»[2] وهو تناص مباشر منه حديث شريف، كما أن ألفاظه ألفاظ دينية مستوحاة من القران الكريم في قوله تعالي: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[3] وأخذ لفظة الإلحاف الإلحاف بالمسألة من قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[4] ثم توجه إلى ذكر أية

---

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص72–73.

[2]– ابن نجيع العرباص بن سارية رواه ابو داود و الترميذي، رقم 266، وقال حديث حسن صحيح.

[3]– سورة الأنبياء الآية 90.

[4]– سورة البقرة الآية 273.

كاملة من القران الكريم و هو ما يعرف التناص الديني التام في قوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [1].

ط. خطبة له في ندب الناس لفتح الشام

وخطب يندب الناس لفتح الشام، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله وقال: « إلا أن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فان القصد ابلغ إلا انه لا دين لأحد لا إيمان له، إلا وان في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، كما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به، هي التجارة التي دل الله عليها، ونجرأ بها مكن الخزي، والحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة».[2]

وفي هذه الخطبة وظف تناصا واحدا فقال: « ولا عمل لمن لا نية له» فالنية هي أساس الأعمال وقد بين ذلك رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف: « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[3] ومر تناص ديني مستخلص من الحديث النبوي الشريف.

---

[1]– سورة الأنبياء الآية 90.

[2]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص73.

[3]– صحيح البخاري، تعليق على قراءة الشيخ عبد العزيز السدحان.

ي. خطبة له في الأنصار:

ووصل له مال من البحرين، فساوى فيه بين الناس، فغضبت الأنصار وقالوا له فضلنا، وبكر صدقتم، إن أردتم أن أفضلكم صار ما عملتموه للدنيا، وان صبرتم كان ذلك لله عز وجل، فقالوا: واله ما عملنا إلا لله تعالى وانصرفوا، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: « يا معشر الأنصار: إن شئتم إن تقولوا إن أوينا في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، وناصرناكم بأنفسنا، قلتم، وان كم من الفضل ما لا يحصيه العدد، وان طال به الأمد، فتحت وانتم كما قال طفيل الغنوي:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزْلَقَتْ *** بِنَا نَعْلُنَا فِي الْوَاطِئِينَ فَزَلَّتِ

أَبَوْا أَنْ يَمَلُّونَا وَلَوْ أَنَّ أُمَّنَا *** تُلَاقِي الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتِ

فَذُو الْمَالِ مَوْفُورٌ وَكُلٌّ مُعَصَّبٌ *** إِلَى حُجُرَاتٍ أَدْفَأَتْ وَأَظَلَّتِ [1].

فهذه الخطبة ساوى أبو بكر الصديق بين الناس في المال الذي وصل إليه من البحرين وهذا تطبيق لما جاءنا به ديننا الحنيف فلسوى بين الناس في تقسيمه والمساواة هي احد ركائز الدين الإسلامي وقد جاءت عديد الآيات التي تحث في على المساواة وذلك في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2] فأبو بكر في دعا للمساواة والآية دعت

[1] أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص73-74.

[2] سورة المائدة، الآية 08.

للمساواة كذلك ومنه فالمعنى متشابه لكن الألفاظ مختلفة وهذا هو التناص المعروف بالتناص غير المباشر الطي هو عن إيحاء وإيماء كما دعاهم للصبر بقوله: « وان صبرتم كان ذلك لله عز وجل، والصبر من سيمات الرسل والصحابة التي حثها عليهم ديننا الحنيف في قول الله عز وجل: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ﴾ وقوله كذلك ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1] وهو تناص غير مباشر كذلك فهو لا عمر بن الخطاب حامل للمعنى فقط إذن فهو تناص غير مباشر.

[1]– سورة لقمان، الآية 17.

المبحث الثاني: الوصايا

وهنا قد وظف أبو بكر الصديق رضي الله عنه أربع وصايا تحمل في طياتها عديد الوصايا التي أمرنا الله بها وحثنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاقتداء والعمل بها، وهي وصايا دينية أخذت جذورها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهي كالأتي:

أ. وصيته لأسامة بن زيد:

وأوصى أسامة بن زيد وجيشه حين سيّره إلى أبنى، فقال «يأيها الناس: قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا أو كبيرا، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة، ولا تقعروا نخلا، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فزّعوا أنفسهم في الصّوامع، فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء، فإذكروا، فإذكروا إسم الله عليها، وتلقون أقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم، وتركوا حولها مثل العصائب، فإخفقوهم بالسيّف خفقا، إندفعوا باسم الله»[1].

وهذه الخطبة عبارة عن وصايا قيمة لأسامة بن زيد وجيشه من أبو بكر الصديق حين سيّره إلى أبنى حيث أوصاهم بعشر وصايا فنهى في بداية الأمر عن الخيانة

---

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص74.

بقوله «لا تخونوا» وقد باد ذكرها عديد المرات في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[1] وقوله عزوجل: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[2] وفي الآيات نفي للخيانة وبالتالي موافقة في المعنى لما قاله الخطيب أبو بكر وهذت ما يعرف بالتناص ونهى كذلك عن اللغو في قوله: «لا تغلوا» وهو مطابق لما جاء في كتاب الله في قوله جل جلاله:﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[3] وقوله صلى الله عليه وسلم« يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإن أهلك من قبلكم الغلو في الدين»[4] فموافقة قول الخطيب للآية والحديث الشريف شكل إنسجام وتوافق في المعنى فكلهم ينهون عن الغلو مما أدى إلى تشكل التناص الديني، كما نهى عن التمثيل وتابع وصاياه بتحريم القتل سواء كانت للصغير أو الكبير بقوله: «ولا تقتلوا طفلا صغير أو كبير» فجريمة القتل نهى عنها الإسلام وحرّمها فنزلت الآية الكريمة موضحة ذلك في قول الرحمن الرحيم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[5] وفي ذلك إشارة لقوله (ص) كل ذنب

---

[1] سورة الحج، الآية 38.

[2] سورة الأنفال، الآية 58.

[3] سورة المائدة، الآية 66.

[4] رواه أحمد والنسائي وإبن ماجه واللفظ له هن إبن عباس مرفوعا.

[5] سورة الإسراء، الآية 33.

عن الله أن يغفره، إلا الرجل يقتل المؤمن معتمدا فقد توافق كل من قول أبو بكر رضوان الله عليه وقول الله عز وجل وقول الرسول صلى الله عليه وسلم مما أحدث انسجام في المعنى وهذا ما يعرف بالتناص غير المباشر.

ب. وصيته لعمرو بن العاص والوليد بن عقبة:

وشيع عمر بن العاص والوليد بن عقبة مبعثّهما على الصدّقة، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة: «إتق الله في السّر والعلانية، فإنه من يثق بالله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله يكفّر عنه سيئاته، ويعظم له أجراّ فإن تقوى الله خير ما تواصى به عباد الله، إنّك في سبيل من سبل الله، لا يسعك فيه الإدهان والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم، وعصمه أمركم فلاتن، ولا تفتر»[1].

لقد وصى الخطيب أبو بكر رضي الله عنه عمروا بن العاص والوليد بن عقبة حين بعثهما لأداء الصدقات وأوصاها بوصية واحدة موظفا أسلوب خطابي منسجم وافق فيه بين قوله وقول الله تعالى فأوصهم بقوله: إتق الله في السرّ والعلانية فأعنه يقول قول الله تعالى: ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[2] فقول الكاتب متضمن لقول الله عز وجل وهذا التناص ديني غير مباشر فهو لا يوافقه في اللفظ وإنما يوافقه في المعنى ثم وظف تناصا دينيا مباشرا من خلال نقل آية قرآنية

---

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص75.

[2]– سورة البقرة، الآية 77.

وتوظيفها في وصيته فقال: «فإنه من يثق بالله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب»[1] وفي موضع أخر قال: أبو بكر «ومن يتق الله يكفّر عنه سيئاته، ويعظم له أجراّ» وقول الله جل جلاله: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[2] فالنص الأول متضمن للنص الثاني في شكل تناص قرآني مباشر فالكاتب قام بنقل الآية كما هي وقام بتوظيفها في نصه، ثم أكملهم أن تقوى الله هي خير وصية وختم وصيته تقويم نهي عن الإرهان والتفريط والغفلة.

ج. وصيته ليزيد بن أبي سفيان:

ووصى يزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام: «إنني قد وليتك لأبلوك وأجر بك وأخرجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أسأت عزلتك، فعليك بتقوى الله، فإنه يرى من باطنك مثل الذي يرى ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم توتيا له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد فإيّاك وعبية الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وعندهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصل الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وأقلل لبثهم حتى يخرجوا عسكرك وهم جاهلون به، ولا تريثهم فيروا خللك، ويعلموا علمك وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع منه قتلك من محادثتهم، وكن

---

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص76.

[2]– سورة الطلاق، الآية 5.

أنت المتولى لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك، فيختلوا أرك، وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تحزن عن المشير خبرك، فتؤتى من قبل نفسك، وأسمو بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الاتار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسنه أدبه وعاقبته في غير إفراط، وعقب بينهم بالليل، وإجعل النوبة المستحق، ولا تلجن فيها، ولا تسرع إليها، لها مدتها، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا يكشف الناس عن أسرارهم، وإكتفبعلانيتهم، ولا تجالس العياثين وجال أهل الصدق والوفاء، وإصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول، فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر، وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له»[1].

هذه الوصية التي أوصاها أبو بكر الصديق لأبي سفيان حين تربّه لفتح الشام: فأمره بتقوى الله ووصاه ان يكون أولى الناس بالله وأشدهم توليلا له ثم وصاه ببعض الوصايا وانتقل إلى توصيته بالإحسان إلى جنده وصبحه حسن صحبته والإحسان أحد الألفاظ التي استعملها الإسلام والمسلمين في قوله: ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[2] عل سبيل المثال وهو تناص ديني غير مباشر ونجد تناصا مباشرا في قوله: «وصل الصلوات لأوقاتها» وقول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص77.

[2]– سورة النساء، الآية 36.

وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[1] ونجد التناص المباشر في قول أبو بكر الصديق: «وأصلح نفسك يصلح لك الناس» وهنا متواجد في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[2].

د. وصيته لعمرو رضي الله عنه عند موته:

«إني مستخلفك من بعدي، وموصيك بتقوى الله، إن الله عملا بالليل لا يقبله بالنهار، وهملا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنّه لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، فإنما ثقلت موازين من ثقُلت موازينه يوم القيام بإتباعهم الحق في الدّنيا وثقله عليهم، وحق الميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا، وإنما حقت موازين من حفت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطل وخفية عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا، إن اله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم، وتجاوز سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت أين لأرجوا ألا أكون من هؤلاء، ونذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا وراهبا، ولا يتمني على الله غير الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة، فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله»[3].

فأبو بكر الصديق في وصيته لعمرو رضي الله عنهما عند موته فاخبره بأنه سيستخلفه من بعده وأوصاه بتقوى الله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله الله بالليل وقصد

---

[1]– سورة البقرة، الآية 238.

[2]– سورة الرعد، الآية 11.

[1]– أحمد زكي صفوت، المرجع السابق، ص77.

بذلك صلاة الظهر والعصر، لا يحل للإنسان أن يؤخرهما إلى الليل وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « من فاتته صلاة العصر فكأنما وير أهله وما له». وفي صحيح البخاري عنه أنه قال: «من فاتته صلاة العصر حبط عما»، وهو شكل هذا الانسجام بين قول أبي بكر الصديق وقول رسولنا الكريم تناصا مباشر مستوحى من الحديث النبوي الشريف. ثم انتقل إلى بيان أثقال الموازين وخفتها بقوله: «فإنما ثقلت موازنة من قلت موازينه يوم القيام بإتباعهم الحق في الدّنيا وثقلت عليهم، وحق الميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا، وإنما حقت موازين من حفت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطل وخفية عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه الباطل» وهذا القول متواجد في طيات قرآننا الكريم في قوله جل جلاله:﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (10) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾[1]. فقول أبو بكر الصديق متضمن في قول الله تعالى وهذا ما نجده في تعريف التناص إذا فهو تناص مباشر ديني، ثم ذكر مصطلحي الترغيب والترغيب وهما مصطلحان وظفهما الله عز وجل في كتابه الكريم وفي الحديث النبوي الشريف.

فالترغيب والترهيب موجودان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] وهناك آيات كثيرة تدل على ذلك، أما في السّنة فيذكر أبو أسعود أن

[1]- سورة القارعة، الآية 6-11.

[2]- سورة الأنعام، الآية 165.

من السّنة السّنية القرآنية شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب، فالأسلوب الخطابي للخطبة موافق للأسلوب الخطابي الموجود في الآيات والحديث وهنا التوافق يعرف بالتناص فهو تناص ديني مستوحى من آيات الله وحديثه الشريف ثم أنهى وصيّته بالنهي عن إلقاء اليد إلى التهلكة قائلا: «ولا يلقي بيده إلى التهلكة»، وهو موجود على شكل تناص مباشر ديني في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1].

خلاصة:

وكخلاصة صغيرة لما سبق ذكره من خطب ووصايا أبي بكر الصديق هو أن هذا الصحابي الجليل قد اتخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كمصدر أساسي في خطبه جاعلا منه أداة قيمة للتأثير في قلوب الناس ليوحدوا الله يتبعوا ملة رسوله الكريم صلوات الله عليه ، كما تطرق في خطبه ووصاياه عدة توصيات إسلامية بمجرد قراءتها يتبادر في أذهاننا عبر إسلامية تزيل غموض الأمور الإسلامية المبهمة لابد من الاقتداء بها في كل تصرفاتنا، من بينها: اتقاء الله، إبرام التشاور، المساواة، العدل، وغيرها من الأساسيات التي يقوم عليها دين الإسلام الحنيف ..

[1]– سورة البقرة، الآية 195.

خاتمة

وفي نهاية هذا المطاف و نهاية البحث، وصلنا إلى نتائج عديدة ترسخت في أذهاننا منذ بداية البحث إلى نهايته ليتجلى في أعيننا التناص بجل أنواعه وأنماطه وكذا أهميته، كما تعلمنا كيفية استخراجه، وحوصلة ما سبق ذكره في هذا البحث نتوصل إلى أن:

1. التناص ممارسة لغوية ودلالية لأي شاعر كان مهما اختلف الزمان والمكان فالنص الأدبي ما هو إلا نسيج من اجتهادات سابق
2. التناص حضور نصوص غائبة في نص حاضر جديد
3. التناص تقنية تعكس تداخل نصوص غائبة مع نص حاضر متزامنة معه أو سابقة عليه
4. مصطلح التناص مصطلح نقدي غربي النشأة بامتياز ظهر على يد جوليا كريستيفا بغض النظر عن إرهاصات ولادة المصطلح
5. استفادة النقاد العرب من الغرب في قراءة الموروث النقدي القديم واستعملوه كآداة إجرائية للوقوف على جماليات النص الشعري
6. عالج النقاد العرب القدماء قضايا شديدة الصلة بالتناص (السرقات، التضمين، الاقتباس...)
7. استعمال العرب المحدثون والمعاصرون التناص في شعرهم مما أكسب القصيدة دلالة كما أغنى التجربة الشعرية وأكد ارتباط الشاعر بموروثه
8. التناص أربعة أنواع: ديني، تاريخي، أدبي، أسطوري
9. التناص نمطان: مباشر وغير مباشر
10. تميز خطب ووصايا أبي بكر الصديق أنه ذا طابع ديني إسلامي

11. يغلب على خطب ووصايا أبو بكر الصديق الجانب الإسلامي من مختلف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والعبادات والعبر حيث كانت انطلاقته من العقيدة الإسلامية وسيلة للوصول إلى قلوب الناس ليسلموا الله ويوحدوه ويتبعوا ملة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم
12. يعتبر الموروث الديني من أهم مصادر التي المصادر التي أخذ منها أبو بكر الصديق مواضيعه لإنشاء خطبه ووصاياه
13. استدعاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه للنصوص الدينية رغبة منه في إعطاء خطبه ووصاياه مصداقية نظرا لمصداقية النص القرآني وإعجازه بألفاظه ومعانيه وقداسته بالإضافة إلى أهمية السنة النبوية في ذلك.

وختاما أضع بحثي المتواضع بين أيدي الأستاذ المشرف والباحثين، ليبقى المجال مفتوحا للدارسين من بعدي لعلهم يتممون مسار هذه الدراسة، كما أن هذا البحث قد يحتوي على نقص فيكملونه أو اعوجاج فيقومونه، فلا كمال للعلم فهذا البحث مجرد اجتهاد ومحاولة جادة يتم من خلالها إثراء الدراسات الأدبية على المستوى الجامعي لتكون انطلاقة جيدة للطلبة الذين يتخذون هذا الموضوع لبحوثهم، ففي بحثي هذا جوانب لم تتمكن الدراسة من تحقيقها قد تكون عناوينا لبحوث لاحقة، ومن بين تلك الجوانب التي لم توظف في دراستي ويمكن البحث فيها في المستقبل ما يلي: أشكال التناص وهي: تطابقي (تطابق بين نصين)، انفعالي (فيه إعلان لموت النص الأول في النص الثاني)، بالإضافة إلى تناص النفي (موت النص الأول في النص الثاني).

كما يمكن إضافة خصائص التناص وعلاقته بالنصوص الأدبية وذلك راجع إلى دور التناص في ثبات النص النص وانسجامه واتساقه.

وقد يمكننا أن ندرس تقانات التناص وهي: الآلية التي التي يعمد إليها الشاعر في قصيدته وتكون من خلال عمليتين أساسيتين هما: الامتصاص والتحويل، وتقانات

التناص هي: التضخيم أو التوسع، التحرير، الخطبة، الترصيع، المبلغة، القلب أو العكس، قلب موقف العبارة أو أطرافها، قلب القيمة، قلب الوضع الدرامي، قلب القيم الرمزية، التشويش، تغيير مستوى المعنى. هذا في الجانب النظري، أما في الجانب التطبيقي فيمكن إضافة التناص من القرآن الكريم والتناص من السنة النبوية الشريفة، بالإضافة إلى دور التناص الديني في الخطب وأمور أخرى كثيرة.

وفي الأخير أرجوا أن يكون بحثي مفيدا وما الكمال إلا لله وما الخطأ إلا من الإنسان والشيطان، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولكم من كل خطيئة واستغفروه تحدوه وليا مرشدا

قائمة المصادر

والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المراجع

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا، ط3، 1989م، ج1.
2. أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الجيل، الجزائر، ط5، 1981، مجلد1، ج1.
3. أبي أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين الرّازي القزويني، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، دمشق، ط2، 410هـ، مادة (نص).
4. أحمد الرضا، معجم متن اللغة، مكتبة الحياة، بيروت، 1377هـ-1830م، ج1.
5. أحمد الزعبي، التناص نظريا وتطبيقيا، مؤسسة عمون للنشروالتوزيع، ط2، 2000م.
6. أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب، دار الكتب العلمية، ط1، 2009، مجلد3، ج2.
7. أحمد شعث، الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر، مكتبة القادسية، فلسطين، ط1، 2002.
8. أحمد شوقي، الشوقيات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، المجلد1، ج2.

9. أحمد مجاهد، أشكال التناص الشعري، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ط1، 2006.

10. إليا حاوي، في النقد الأدبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1986م.

11. أمل دنقل، الأعمال الشعرية الكاملة ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 478هـ.

12. جيران مسعود، معجم الرائد دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1929م.

13. حافظ صبري، التناص وإشاريات العمل الأدبي، التناص تفاعلية النصوص، مجلة البلاغة المقارنة، ربيع 1984م، ع4.

14. حسان بن ثابت، الديوان، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ج1.

15. حسن البنداري وآخرون، التناص في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، 2009، المجلد11، العدد2.

16. رحمن غركان، مرايا المعنى الشعري، أشكال الأداء في الشعرية العربية من قصيدة العمود إلى القصيدة التفاعلية، دار الصفاء، عمان، ط1، 2012.

17. سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط2، 2001.

18. السيد الشريف أبي الحسني علي بن محمد بن علي الحسني الجرجاني الحنفي، التعرفات، دار الكتب العلمية، بيروتن لبنان، ط4، 2013م.

19. صجي البستاني، الصور الشعرية في الكتابة الفنية، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1، 1986م.

20. طراد الكبيسي، مدخل في النقد الأدبي، دار البازوري العلمية، عمان، د.ط، 2009.

21. طرفة بن العبد، الديوان، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2003.

22. عاطف نصر، الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، بيروت، ط1، 1987م.

23. عبد الباسط مراشدة، التناص في الشعر العربي الحديث، دار ورد، عمان، ط1، 2006م.

24. عبد الرحمان بارود علي جعفر العلاق، الأعمال الشعرية الكاملة، الشعر والتلقي دراسات نقدية، دار الشروق، عمان، ط1، 1997م.

25. عبد القادر أبو شريفة وآخرون، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، ط4، 2008.

26. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1997.

27. ليون صونفين التناصية والنقد الجديد، تر وائل بركات، جدة، السعودية، 1996م.

28. مارك أنجينو، في أصول الخطاب النقدي، تر أحمد المدني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987م.

29. مارك آنجينو، في أصول الخطاب النقدي، تر أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، سنة 1987م.

30. مجموعة مؤلفين، مقالة بارت، آفاي التناصية، المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.

31. محمد التوجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، د.ب.ن، ط2، 1999.

32. محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الإرشاد، الأنباء، ط2، 1965م، ع40، ج3.

33. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الروفيعي الافريقي، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د.ت، د.ط، مادة (نصص).

34. محمد صلاح الدين عبد السميع فضل، الأساليب الشعرية المعاصرة، دار الأدب للنشر والتوزيع، 1995.

35. محمد عزام، النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

36. محمد فدوى طوقان، الآثار الكاملة، المؤسسة العربية للنشر، ط1، 1993، المجلد1.

37. محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996.

38. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996.

39. محمد ناجي محمد أحمد، بيرار جينيت، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1992م.

40. نزار قباني، الأعمال الشعرية السياسية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، 2011، ج6.

41. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، الطراز، مطبعة المقتطف، مصر، 1914، ج3.

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	أ
الإهداء	ب
مقدمـــة	1
الفصل الأول: ماهية التناص	
تمهيد	8
المبحث الأول: مفهوم التناص وأهميته	9
المبحث الثاني: أنواع التناص	18
المبحث الثالث: أنماط التناص	30
الفصل الثاني: التناص الديني في خطب أبي بكر الصديق ووصاياه	
تمهيد	46
المبحث الأول: الخطب	47
المبحث الثاني: الوصايا	68
خاتمـــــة	77
قائمة المصادر والمراجع	81
فهرس المحتويات	86